الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٥ - ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2me Année, No. 75.

Lundi-10-12-1934

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة

تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العــدد ٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٥٣ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

إلى القرية يا بك ...

أهلاً وسهلاً بعلى بك ! ... كيف حالك ؟ ... آنستَ هنا وأوحشت هناك ! ... منذ كم سنة لم أرك ؟ ... نعم أكثر من ست سنين ! ...

وكان هذا اللقاء المفاجئ فى ميدان ابراهيم أمام (النيو بار) ، فمال بنا الشيخ فى حماسة الشوق ودهشة المفاجأة الى مجلس من مجالس هذا المقهى الحاشد ، ثم أخذ يسألنى عن أمرى حتى نقع نفسَه ونضح وده . فلما طال بنا نفَسُ الحديث عطفته مترفقاً الى عمره المفقود ، فذا كرتُه عهود القرية أيامَ الشملُ جامع والحبل واصل والدار نادية ! فكانت أرسالُ هذه الذكرَ — واأسفاه — ترتد عن شعورة الأصم ارتداد الأمواج عن صخور الساحل ! لقد خَفتَ الماضى فى ذاكرته خفوت المحتضَر ؛ فرَجْعه البعيد لا يكاد يَبين إلا فى نظرة قصيرة من عينه المنتفخة ، أو نفثة طويلة من نرجيلته المكركرة

لشدَّ ما صنعت المدينة بهذا الرجل ! كان مكتنز اللحم فترهّل ، ومشبوبَ اللون فانكفأ ، وخفيفَ الحركة فثقّلته الأملاح ،

وطليق المشية فقيدته العلل ؛ ثم كان يعقد مجلسه فى القرية فيكون فى جلالته ديوان عرش ، وفى مهابته جلسة محكمة ! يلقى النظرة مثقلة بالدلائل فتأخذها العيون وعداً لا يُخلف ، أو وعيداً لا يشفق ، أو عاطفة لا تكذب ، ويرسل الكلمة موقرة بالمعانى فتلقفها الآذان أمراً لا يرد ، وقانوناً لا يخالف ، ورأياً لا ينقض ، فأصبح فى زحمة القاهرة قطعة من الوجود المتطفل ، يتسكع فى الطريق ، أو يَتَقَمَّع[1] فى القهوة ، أو يتمطى فى البيت ، وليس له رأى فى أمور الناس ، ولا أثر فى جهاد العيش ، ولا شأن فى طبقات المجتمع ؛ وكان بَليلَ اللسان حافل الخاطر اذا تحدث الى الفلاحين فى شؤون الفلاحة ، فلما حاول مناقلة المدنيين أحاديث السياسة والأدب والاجتماع ، قعد به الجهل عن مجاراتهم ، فغلب الوجوم على نفسه ، وختم العى على فمه !

***

تخاذل حديث (البك) واسترخى حتى انقلب إلى أنة موجعة وشكوى أليمة ! قال وهو يطلب من الغلام جمرة ترسل النار فى النرجيلة الخامدة : منذ حبَّبَ إلىَّ أبنائى — وهم فى المدارس كما تعلم — أن أنقل البيت من القرية إلى الحاضرة ، انقلب وجودى رأساً على عقب ! فأنا أحيا كالغريب ، وأعمه كالشريد ، وأمشى كالتائه . نقصت غلة الأرض لاتكالى فى زرعها على الناس ، وزادت أكلاف العيش لاعتمادى فى الوجاهة على السرف ، وفدحتنى أعباء الديون فأنا من شواغلها فى غصة لا تساغ وكربة لا تنسلى ، وفسدت علىَّ سياسة الأسرة ، فالبنون لا يريدون العمل فى غير الحكومة ، والبنات لا يرغبن الزواج فى غير المدينة ، والزوجة تأبى إلا أن تكون كزوجة فلان باشا : لها فى كل يوم ملهى ، وفى كل أسبوع وليمة ، وفى كل شهر (مُودة) ، وفى كل عام مصيف . فأنا يا صديقى مذبذب العيش بين هنا وهناك ، لم أستفد مزايا الحضر من اتساق الأمر واطراد الحياة ، ولم أستعد محامد الريف من سعادة النفس و بساطة العيش وخلوص الفطرة وصحة الدين وسلامة الثروة ؛ فهل تطمئن على هذه الحال نفس . وهل تشرق فى هذا الوجود سعادة ؟

فقلت له وقد تمثل فى خاطرى ما دهى القرية وأصاب الأمة من أمثال هذا الرجل :

لو أن سراة الريف استقبلوا من أمرك ما استدبرت لما كانوا على أنفسهم شراً وعلى قراهم جناية

فانك لو بقيت فى قريتك ، وقمت كما كنت تقوم على تدبير ثروتك ، وعاد بنوك من الكلية فاستثمروا علمهم فيها ، ونشروا مدنيتهم وثقافتهم بين ربوعها وأهليها ، ورجع بناتك من المدرسة فبثثن فى نسائها النظام والتدبير والذوق بالارشاد والقدوة ، ثم فعل غيرك ما فعلت ، إذن لتوفر فيها الرزق ، وورف عليها الأمن ، وانتقل اليها العلم ، وتذوق أهلها المساكين جمال الحضارة ونعيم الصحة ولذة المعرفة ، وشعرت أنت فى هذه البيئة شعور الغبطة والرضا ، لأنك أعنت فريقاً من ضعاف الناس على أن ينعموا بحياتهم ويقوموا بواجباتهم على الوجه الأكمل

ولكن أكثر القرويين متى ارتجع كثيراً من المال ، أو شدا قليلاً من العلم ، أغلق (المضيفة) ، وخرّب (الدوار) ؛ وخلّف القرية للفاقة والجهالة والمرض

فلولا أشعة من نور الأزهر الخالد تنتشر فى هذه القرى فتدعو إلى الله ، وتهدى إلى الحق ، لظل الريف وساكنوه على الحال التى عثر فيها التاريخ بطلائع الانسان

***

أنت لا تزال عميد أسرة مجيدة ، لها فى سياسة الأمة صحائف مشرقة ، وفى ثروة البلاد جهود موفقة ، فافزع الى ماضيك ، واستصرخ عزيمة الجنس فيك ، واستعد سلطانك على أهلك وبنيك ؛ ثم عد الى مسقط رأسك ومهبط نفسك ومنبت عواطفك ومنشأ هواك ومرتع صباك وموطن مجدك ومدفن جدودك ! عد إلى القرية يا بك ! !

احمد حسن الزيات

[1] يتقمع : يطرد الذباب من فراغه وبطالته

شهر الثورة...
فلسفة الصيام
للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لم أقرأ لأحد قولاً شافياً في فلسفة الصوم وحكمته ؛ أما منفعتُه للجسم وأنه نوعٌ من الطّب له ، وبابٌ من السياسة في تدبيره ، فقد فرغ الأطباء من تحقيق القول في ذلك ؛ وكأن أيام هذا الشهر المبارك إن هي إلا ثلاثون حَبّةً تؤخذ في كل سنة لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة أنسجة الجسم ؛ ولكننا الآن لسنا بصَددٍ من هذا ، وإنما نستوحى تلك الحقيقةَ الاسلاميةَ الكبرى التي شرعت هذا الشرعَ لسياسة الحقائق الأرضية الصغيرة ، عاملةً على استمرار الفكرة الانسانية فيها ، كي لا تتبدّل النفسُ على تغيرِ الحوادث وتَبَدُّلها ؛ ولكيلا تجهلَ الدنيا معانيَ الترقيع إذا أتت على هذه الدنيا معاني التمزيق

من معجزات القرآن الكريم أنه يدّخر في الألفاظ المعروفة في كل زمن حقائقَ غيرَ معروفة لكل زمن ، فيُجلّيها لوقتها حين يَضجُّ الزمانُ العلميُّ في متاهته وحَيْرَته ، فيَشْغَبُ على التاريخ وأهلِه مُسْتَخِفًّا بالأديان ، ويذهب يتتبّع الحقائقَ ويستقصي في فنون المعرفة ، ليستخلصَ من بينِ كفرٍ وإيمانٍ ديناً طبيعياً سائغاً ، يتناول الحياةَ أوّلَ ما يتناول فيضبطُها بأسرار العلم ، ويوجّهها بالعلم الى غايتها الصحيحة ، ويضاعف قُواها بأساليبه الطبيعية ، ليحقّق في إنسانية العالَم هذه الشَّيْئِيّةَ المجهولة التي تتوهّمها المذاهبُ الاجتماعية ، ولم يهتدِ إليها مذهبٌ منها ولا قاربَها ؛ فما برحت سعادةُ الاجتماع كالتجربة العلمية بين أيدي علمائها لم يحققوها ولم ييأسوا منها ، وبقيتْ تلك المذاهب كعقارب الساعة في دَوْرتها ، تبدأ من حيثُ تبدأ ثم لا تنتهي إلا الى حيثُ تبدأ

***

يضطرب الاشتراكيون في أوربا ، وقد عجزوا عجزَ مَن يحاول تغيير الانسان بزيادةٍ ونقصٍ في أعصابه ؛ ولا يزال مذهبُهم في الدنيا مذهبَ كتبٍ ورسائل . ولو أنهم تدبّروا حكمةَ الصوم في الاسلام ، لرأوا هذا الشهرَ نظاماً عملياً من أقوى وأبدع الأنظمة الاشتراكية الصحيحة ؛ فهذا الصومُ فقرٌ إجباريٌّ تفرضه الشريعة على الناس فرضاً ليتساوى الجميعُ في بواطنهم ، سواءٌ منهم مَن ملَكَ المليونَ من الدنانير ، ومَن ملك القرشَ الواحد ، ومَن لم يملك شيئاً ؛ كما يتساوى الناسُ جميعاً في ذهاب كبريائهم الانسانية بالصلاة التي يفرضها الاسلام على كل مسلم ؛ وفي ذهاب تفاوُتِهم الاجتماعيّ بالحج الذي يفرضه على من استطاع

فقرٌ إجباريٌّ يراد به إشعارُ النفسِ الانسانية بطريقةٍ عمليةٍ واضحةٍ كلَّ الوضوح أن الحياةَ الصحيحةَ وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمّها حين يتساوى الناس في الشعور لاحين يختلفون ، وحين يتعاطفون باحساس الألم الواحد لاحين يتنازعون باحساسِ الأهواء المتعددة

ولو حقّقْتَ رأيتَ الناسَ لايختلفون في الانسانية بعقولهم ، ولا بأنسابهم ، ولا بمراتبهم ، ولا بما ملكوا ؛ وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة ؛ فمن البطن نكبةُ الانسانية ، وهو العقلُ العمليُّ على الأرض ؛ وإذا اختلف البطنُ والدماغُ في ضرورةٍ مدّ البطنُ مدّهُ من قُوَى الهضم فلم يُبقِ ولم يَذَرْ . ومن هَهنا يتناولُه الصومُ بالتهذيب والتأديب والتدريب ، ويجعل الناسَ فيه سواءً ليس لجميعهم إلا شعورٌ واحد وحِسٌّ واحدٌ وطبيعة واحدةٌ ، ويُحْكِم الأمرَ فيحولُ بين هذا البطن وبين المادّة ، ويبالغ في إحكامه فيمسك حواشيَه العصبيةَ في الجسم كلّه يمنعُها تغذيتَها ولذّتها حتى نَفْثةً من دَخينة[1]. وبهذا يضع الانسانيةَ كلَّها في حالةٍ نفسية واحدة تتلبّس بها النفسُ في مشارق الأرض ومغاربها ، ويُطلق في هذه الانسانيةِ كلّها صوتَ الروح يُعلِّم الرحمةَ ويدعو إليها ، فيُشْبِع فيها بهذا الجوع فكرةً معيّنةً هي كلُّ مافي مذهب الاشتراكية من الحق ، وهي تلك الفكرة التي يكون عنها مساواةُ الغنيّ للفقير من طبيعته ، واطمئنان الفقيرِ الى الغنيّ بطبيعته ؛ ومن هذين : (الاطمئنان والمساواة) يكون هدوءُ الحياة بهدوء النفسين اللتين هما السلب والايجاب في هذا الاجتماع الانساني .

(١) الدخينة كلمة وضعناها للسيجارة ، وجمعها دخائن

وإذا أنت نزعت هذه الفكرة من الاشتراكية بقي هذا المذهب كله عبثاً من العبث في محاولة جعل التاريخ الانساني تاريخاً لا طبيعة له

* * *

من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم ، وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في الصوم ، إذ يبالغ أشد المبالغة ، ويدقق كل التدقيق ، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة . فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس ، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث ، فهما طريقتان كما ترى : مبصرة وعمياء ، وخاصة وعامة ، وعلى نظام وعلى فجأة

ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير ، أصبح للكلمة الأنسانية الداخلية سلطانها النافذ ، وحكم الوازع النفسي على المادة ؛ فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول : « أعطني . » ثم لا يسمع منه طلباً من الرجاء ، بل طلباً من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه .

أية معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الأسلامية التي تقضي أن يحذف من الأنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً في كل سنة ، ليحل في محله تاريخ النفس (١) ؟ وأنا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل اثني عشر شهراً ، وأن هذه النسبة متحققة في أعمال النفس للجسم ، وأعمال الجسم للنفس ؛ كأنه الشهر الصحي الذي يفرضه الطب في كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة ، لأحداث الترميم العصبي في الجسم ؛ ولعل ذلك آت من العلاقة بين دورة الدم في الجسم الأنساني وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل في المحاق ؛ إذ تنتفخ العروق وتربو في النصف الأول من الشهر كأنها في (مد) من نور القمر ما دام هذا النور الى زيادة ، ثم يراجعها (الجزر) في النصف الثاني حتى كأن للدم إضاءة وظلاما . وإذا ثبت أن للقمر أثراً في الأمراض العصبية ، وفي مد الدم وجزره ، فهذا من أعجب الحكمة في أن يكون الصيام شهراً قمرياً دون غيره

وفي ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر ، وهو — مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها — إثبات الارادة وإعلانها ، كأنما انبعث أول الشعاع السماوي في التنبه الانساني العام لفروض الرحمة والأنسانية والبر

وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم ، وهي عمله في تربية الارادة وتقويتها بهذا الأسلوب العملي الذي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره من شهواته ولذة حيوانيته ، ويبقيه مصراً على الامتناع متهيئاً له بعزيمته ، صابراً عليه بأخلاق الصبر ، مزاولاً في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة ترسخ لا تتغير ولا تتحول ، ولا تعدو عليها عوادي الغريزة

وإدراك هذه القوة من الارادة العملية منزلة اجتماعية سامية هي في الأنسانية فوق منزلة الذكاء والعلم ؛ ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها ، ولكنها في الارادة تعرض لتستقر وتتحقق . فانظر في أي قانون من القوانين ، وفي أية أمة من الأمم ، تجد ثلاثين يوماً من كل سنة قد فرضت فرضاً لتربية إرادة الشعب ومزاولته فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملابساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءاً من عمل الانسان ، لا خيالاً يمر برأسه مراً ؟

أليست هذه هي إتاحة الفرصة العملية التي جعلوها أساساً في تكوين الارادة ؟ وهل تبلغ الارادة فيما تبلغ ، أعلى من منزلتها حين تجعل شهوات المرء مذعنة لفكره ، منقادة للوازع النفسي فيه ، مصرفة بالحس الديني المسيطر على النفس ومشاعرها ؟

أما والله لو عم هذا الصوم الاسلامي أهل الأرض جميعاً لآل معناه أن يكون إجماعاً من الانسانية كلها على إعلان الثورة شهراً كاملاً في السنة ، لتطهير العالم من رذائله وفساده ، ومحق الأثرة والبخل فيه ، وطرح المسألة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية مدة هذا الشهر بطوله ، فيهبط كل

(١) أفسد ضعف النفوس هذا المعنى ، فما يحقق الناس (تاريخ البطن) كما يحققونه في شهر رمضان ، وهم يعوضون البطن في الليل ما منعوه في النهار ، حتى جعلوا الصوم تغييراً لمواعيد الأكل ... ولكن الصوم على ذلك لم يحرمهم فوائده

رجل وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها ليختبر فى مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر ، وليفهم فى طبيعة جسمه — لا فى الكتب — معانىَ الصبر والثبات والارادة ، وليبلغَ من ذلك وذلك درجاتِ الانسانية والمواساة والاحسان ؛ فيُحقق بهذه وتلك معانىَ الاخاء والحرية والمساواة

شهرٌ هو أيام قلبيةٌ فى الزمن ، متى أشرفتْ على الدنيا قال الزمن لأهله : « هذه أيامٌ منْ أنفسكم لامن أيامى ، ومن طبيعتكم لا من طبيعتى » فيُقبِلُ العالَمُ كلُّه على حالةٍ نفسية بالغةِ السموّ يتعهّد فيها النفسَ برياضتها على معالى الأمور ومكارمِ الأخلاق ، ويفهم الحياةَ على وجهٍ آخر غير وجهها الكالح ، ويراها كانما أُجيعَتْ من طعامها اليومىّ كما نجاع هو ، وكأنما أُفرِغَتْ من خسائسها وشهواتها كما فَرَغ هو، وكأنما أُلزِمَتْ معانىَ التقوى كما أُلزِمَها هو . وما أجملَ وأبدع أن تظهر الحياةُ فى العالم كلّه — ولو يوماً واحداً — حاملةً فى يدها السُّبْحة . . . ! فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة ؟

إنها والله طريقةٌ عمليةٌ لرسوخ فكرةِ الخير والحق فى النفس ؛ وتطهيرِ الاجتماع من خسائس العقل المادّىّ ؛ وردِّ هذه الطبيعة الحيوانيةِ المحكومةِ فى ظاهرها بالقوانين ، والمحرَّرةِ من القوانين فى باطنها — إلى قانونٍ من باطنها نفسِه يُطهِّر مشاعرها ، ويسمو بإحساسها ، ويَبْصر فُهما إلى معانى إنسانيتها ، ويُهذّب من زياداتها ، ويحذف كثيراً من فُضُولها ، حتى يرجعَ بها إلى نحوٍ من براءة الطفولة ، فيجعلَها صافيةً مُشرِقةً بما يجتذب إليها من معانى الخير والصفاء والاشراق . إذ كان من عمل الفكرة الثابتة فى النفس أن تدعو إليها ما يلائمها ويتصل بطبيعتها من الفِكَرِ الأخرى . والنفسُ فى هذا الشهر مُحْتَبَسَةٌ فى فكرة الخير وحدها ، فهى تبني بناءَها من ذلك ما استطاعت

هذا على الحقيقة ليس شهراً من الأشهر ، بل هو فصلٌ نفسانىّ كفصول الطبيعة فى دَوَرَانها . وَهُوَ والله أشبهُ بفصل الشتاء فى حلوله على الدنيا بالجوّ الذى من طبيعته السُّحُبُ والغيث ، ومن عمله إمدادُ الحياة بوسائلَ لها ما بعدها إلى آخر السنة ، ومن رياضته أن يَكْسِبها الصلابةَ والانكماش والخفّة ، ومن غايته إعدادُ الطبيعة للتفتّح عن جمالِ باطنِها فى الربيع الذى يتلوه

وعجيبٌ جداً أن هذا الشهر الذى يدّخر فيه الجسمُ من قواه المعنوية فيُودِعُها مَصْرِفَ روحانيّته لِيجدَ منها عند الشدائد مَدَدَ الصبر والثبات والعزم والجلد والخشونة — عجيبٌ جداً أن هذا الشهر الاقتصادىّ هو من السنة كفائدة ٨½ فى المائة . . . فكأنّه يسجّلُ فى أعصاب المؤمن حسابَ قوّته وربحه ، فله فى كل سنة زيادة ٨½ من قوّته المعنوية الرُّوحانية

وسِحْرُ العظائم فى هذه الدنيا إنما يكون فى الأمة التى تعرف كيف تدّخر هذه القوّة وتوفّرها لتستمدّها عند الحاجة ، وذلك هو سِرُّ أسلافنا الأولين الذين كانوا يجدون على الفقر فى دمائهم وأعصابهم ما تجد الجيوشُ العظمى اليوم فى مخازن العَتاد والأسلحة والذخيرة

* * *

كلُّ ما ذكرْتُه فى هذا المقال من فلسفة الصوم فانما استخرجته من هذه الآية الكريمة : « كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين مِن قَبْلِكم ، لعلكم تتّقون . » وقد فهمها العلماء جميعاً على أنها معنى «التقوى» أما أنا فأوّلتُها من «الاتقاء» فبالصوم يتّقى المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذى شريعتُه مَعِدَتُه ، وألّا يعاملَ الدنيا إلا بموادّ هذه الشريعة ؛ ويتّقى المجتمعُ على إنسانيّته وطبيعتِه مثلَ ذلك ، فلا يكون إنسانٌ مع انسان كحمارٍ مع انسان يبيعه القوّةَ كلَّها بالقليل من العَلَف

وبالصوم يتّقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفَه ، فان ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وما خَلْفَه هو الجيل الذى سيَرِثُ من هذه الطِّباعِ والأخلاق ، فيعمل بنفسه فى الحاضر ، ويعمل بالحاضر فى الآتى (١)

وكلّ ما شرحناه فهو اتّقاءُ ضرر لجلبِ منفعة ، واتقاءُ

(١) يفسر القرآن بعضه بعضاً ، ومن معجزاته فى هذا التأويل الذى استخرجناه أنه يؤيده بالآية الكريمة فى سورة (يس) . « واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون . . . »

ويشير الى هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما الصوم جنة (بضم الجيم) فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم ، إنى صائم »

والجنة الوقاية يتقى بها الانسان ، والمراد أن يعتقد الصائم أنه قد صام ليتقى شر حيوانيته وحواسه ، فقوله : «إنى صائم إنى صائم » أى إننى غائب عن الفحش والجهل والشر ؛ إنى فى نفسى ولست فى حيوانيتي

رذيلة لجلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآيةُ الكريمة جهةً فلسفية عالية لا يأتي البيانُ ولا العلمُ ولا الفلسفة بأوجزَ ولا أكمل من لفظها ؛ ويتوجهُ الصيام على أنه شريعة اجتماعية انسانية عامة ، يتّقي بها الاجتماع شرورَ نفسِه ، ولن يتهذبَ العالَم إلا إذا كان له مع القوانين النافذة هذا القانونُ العام الذي اسمُه الصوم ومعناه « قانون البطن » . . . . . .

ألا ما أعظمَكَ يا شهر رمضان ! لو عَرَفَك العالَمُ حقَّ معرفتِك لسَمَّاكَ « مدرسةَ الثلاثين يوماً »

طنطا مصطفى صادق الرافعي

نظرية الاستقلال القومي

وتطبيقها على التاريخ المصري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أشارت إحدى الصحف الانكليزية الكبرى أثناء حديثها أخيراً عن الشئون المصرية ، الى نظرية تاريخية قديمة ترددها ألسنة الاستعمار في كل مناسبة ، وهي أن مصر لم تكن مستقلة في أي عصر من عصور تاريخها

وترمي ألسنة الاستعمار بترويج هذه النظرية الى غرض واضح ، وهو أن مصر التي لم تتمتع خلال هذه الآماد الطويلة من تاريخها بنعمة الاستقلال والحرية ، ليست جديرة بأن تتخذ مكانها بين الأمم المستقلة ، وأن حكم التاريخ يقضي عليها بأن تكون دائماً مسودة لغيرها من الأمم القوية ؛ فلماذا لا تكون انكلترا هي الدولة التي تنفذ على مصر حكم التاريخ الخالد ؟ ولماذا تحاول مصر أن تغالب قدرها ، وطبيعتها كأمة استعبدت مدى الأحقاب تنافي طبائع الحرية والاستقلال ؟

وهذه نظرية باطلة بلا ريب ، يهدمها حكم التاريخ النزيه الحق ؛ ولكنها أيضاً نظرية خطرة ؛ وترويجها في العالم المتمدن يضر بالقضية المصرية ضرراً بليغاً ، ويسيء الى تراث مصر التاريخي ، وإلى سمعتها كأمة ناهضة تطمح الى تحقيق استقلالها . ومن الأسف أن هذا القول الباطل في تصوير التاريخ المصري ، يروج له في مصر ذاتها ، ويتأثر به كثير ممن يطغى على أذهانهم وعواطفهم سيل الثقافة الأجنبية ، ولا يعرفون شيئاً من تاريخ بلادهم . بل من الأسف أن هذه النظرية الاستعمارية الخطرة ، ما زالت تمثل في تعليم التاريخ في بلادنا وفي معاهدنا ، لأن برامج التعليم الرسمية ما زالت بعيدة عن التحرر من أغلال المؤثرات الأجنبية ، بعيدة عن رعاية النواحي القومية

ولهذا نرى أن نعرض بهذه المناسبة الى بحث هذه النظرية لنرى حظها من التطبيق على عصور التاريخ المصري . وأول ما يلفت النظر ذلك التصوير الخاطىء الذي يُصور به تعاقب العصور والدول على مصر ؛ فمصر حسبما تقول النظرية ، قد غادرت منذ أيام الفراعنة عهد الحريات القومية إلى الأبد ، وتعاقبت عليها الدول الغالبة تباعا ، فافتتحها الفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان ، ثم العرب في سلسلة متصلة من السيادة الأجنبية ، وتعاقبت عليها بعد ذلك دول اسلامية أجنبية من الشرق والغرب ودول المماليك المختلفة حتى كان الفتح التركي ، فاستمرت تحت السيادة التركية حتى كان الفتح الفرنسي وظهور محمد علي ؛ ولم يطل أمد استقلالها عندئذ ، حتى عادت فوقعت في قبضة الانكليز ، واتصلت بذلك حلقات استعبادها الطويل

وتصوير أدوار التاريخ المصري على هذا النحو تصوير خاطىء من الوجهة العلمية ، وتصوير مغرض وضعه الكتاب الغربيون منذ أوائل القرن الماضي — وهم أول من كتب عن تاريخ مصر في العصر الحديث — ومعظمهم متأثر بنزعة الغرب الى استعمار الشرق ، وتبرير هذه النزعة بالعوامل التاريخية والاقتصادية ونشر المدنية الحديثة . وقد كان لدعواهم أثر كبير في معظم ما كتب عن مصر ؛ بل لقد تأثر بها الكتاب المصريون أنفسهم ، وتأثرت بها دراسة التاريخ في مصر وبرامجه الرسمية ؛ وأضحى واجباً علينا أن نحارب هذه النظرية الخطرة في كل مناسبة ، وأن نبين خطأها من الناحية العلمية

لقد توالت على مصر حقاً عصور طويلة من الغلبة والاستعباد ، ولكنها تمتعت أيضا بعصور طويلة من الحرية والاستقلال والسؤدد القومي . وقد قطعت مصر أيام الفراعنة آماداً بعيدة في ظل الحريات القومية والاستقلال المطلق ، وكانت سيدة امبراطورية مصرية تمتد من قلب السودان الى الشام ؛ وكان

لها فى تلك العصور من القوة والعظمة والمدنية الزاهرة ، ما لم تتمتع به أية أمة من الأمم الغابرة . وإذا كانت مصر قد سقطت فى عصور الانحلال فريسة النير الأجنبى ، واستمرت ترزح نحو ألف وخمسمائة عام تحت نير الهكسوس والفرس واليونان والرومان ، فقد تمتعت بحرياتها واستقلالها قبل ذلك آلاف السنين

ويبدو خطأ نظرية الكتاب الغربيين بنوع خاص فى الحكم على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامى ، فهم لا يكتفون باعتبار هذا الفتح بدء عصر جديد من الاستعباد بالنسبة لمصر ، بل يرون أن مصر كانت طوال الدول الاسلامية التى تعاقبت عليها ، أمة مسودة خاضعة لنير الحكم الأجنبى ، ويعتبرون هذه الدول كلها ، دولا غازية سيدة ؛ وهو خطأ كبير فى فهم الحقائق التاريخية وفى تصورها . ويجب أن نذكر أولاً أن الأمة المصرية لبثت أيام الفرس واليونان والرومان تحتفظ بطابعها الفرعونى القديم ، وأن هذه الدول الغازية لم تستطع أن تجعل من الأمة المصرية المغلوبة وحدة من وحداتها الاجتماعية ، وإن كانت مصر قد تأثرت بلا ريب بنفوذ هذه الدول وحضاراتها ؛ وعلى هذا فقد كانت مصر فى هذه العصور أمة مغلوبة حقاً ، ولكن تحتفظ باستقلالها كوحدة اجتماعية . بل لقد استطاعت مصر أن تحتفظ بهذا الاستقلال الاجتماعى ، حتى بعد أن أرغمت على اعتناق النصرانية ، ولم تندمج قط فى الامبراطورية الرومانية ، كما اندمجت أمم وشعوب أخرى . ولكن الأمة المصرية شهدت منذ الفتح الاسلامى تطوراً جوهرياً فى تكوينها الاجتماعى ؛ فقد استطاع العرب فى أقل من قرن أن ينشئوا منها أمة اسلامية ، وأن يجعلوا منها وحدة اجتماعية من وحدات الامبراطورية الاسلامية الكبرى ؛ واندمج الغالب والمغلوب فى أمة جديدة موحدة تدين بالاسلام وشرائعه ، وتتكلم بلغته ، وتضطرم بروحه ؛ ولم يأت القرن الثالث من الهجرة حتى أضحى التميز عسيراً بين السلالة العربية النازحة ، وبين السلالة المصرية المسلمة . وكانت مصر حتى منتصف القرن الثالث ولاية من ولايات الخلافة ؛ ولكنها استطاعت من ذلك الحين أن تنزع الى الاستقلال فى ظل الدولة الاسلامية الكبرى ، على يد بعض الحكام والقادة الخارجين على الخلافة ؛ وبدأت من ذلك الحين سلسلة الدول الاسلامية المستقلة فى مصر

وهنا تعرض النقطة الجوهرية . هل كانت مصر سيدة أم مسودة فى ظل هذه الدول ؟ وهل كانت مصر الفاطمية ، والأيوبية ، ومصر فى عهد أسر المماليك المختلفة حتى الفتح العثمانى ، أمة مستقلة أم كانت ترزح تحت النير الأجنبى ؟ وجوابنا أن مصر كانت فى تلك العصور أمة مستقلة تتمتع بكامل حرياتها القومية ، وكانت أمة سيدة لا مسودة ، تسير فى ميدان الحرب والسلام من ظفر الى ظفر . أما هذه الدول الأجنبية المسلمة التى كانت تتبوأ السلطان والحكم ، فلم تكن أكثر من أسر نازحة أو مستقرة تبوأت الرياسة لأصولها الملوكية أو لمؤهلاتها الخاصة ؛ ولم تكن تتولى هذه الرياسة لحسابها الخاص ، وإنما كانت تتولاها لحساب الأمة المصرية ، وتعمل باسمها وبتأييدها ، فكانت تغدو بعد استقرارها أسراً مصرية خالصة ليس لها مركز للرياسة غير مصر ، وليست لها أمة أخرى تمثلها غير مصر ؛ وحتى الدولة الفاطمية التى دخلت مصر غازية ، لم تشذ بعد استقرارها عن هذه القاعدة ، فكانت مصر هى مركز الدولة الفاطمية ومستقرها ، وغدت الخلافة الفاطمية مصرية بعد أن كانت مغربية ؛ ومنذ الدولة الأيوبية حتى الفتح العثمانى تظهر الأسر السلطانية فى مصر ذاتها ، بين القادة والأمراء النابهين ؛ ولم تكن تلك العروش والأسر التى قادت الأمة المصرية منذ الدولة الفاطمية الى الظفر فى ميادين الحرب ، والى مراتب العظمة والبهاء فى ميادين السلام والحضارة ، سوى عروش وأسر مصرية أو متمصرة ، تعمل جميعاً لمصر وباسمها ، ولم تكن تلك الجيوش الباسلة التى لبثت أكثر من قرنين تتلقى ضربات الحملات الصليبية فى مصر والشام ، وتبث أعمالها وانتصاراتها الروع فى أمم الغرب ، سوى جيوش مصرية تقودها تلك الأسر التى ارتضتها لزعامتها ؛ على أن تلك الأسر الملوكية ذاتها لم تلبث غير بعيد أن فقدت زعامتها السياسية ، وأصبحت خاضعة فى التعيين والعزل لرأى الأمة المصرية ممثلة فى زعامتها الدينية والفكرية ؛ وإنه لمن التعسف أن نخرج من حظيرة الأمة المصرية أسراً نبهت فيها ، وتولت زعامتها بحكم تراثها الموروث آماداً ، وعملت لمصر ولم تعمل لسواها ، ولم يبق لها من صبغتها الأجنبية سوى ذكريات المنشأ والماضى

كانت مصر الاسلامية إذاً ، منذ تقلص عنها ظل الخلافة ، أمة مستقلة ، وكانت مصر الاسلامية أمة مستقلة حين غزاها الترك العثمانيون وحطموا بها صرح حضارة اسلامية زاهرة

تكدست على ممر العصور ؛ ولقد كان الفتح العثمانى عملاً همجياً ، كما كانت فتوح القبائل البربرية لرومة وأقطار الدولة الرومانية ؛ ولم يكن عملاً إنشائياً ، كما كان الفتح الاسلامى ؛ على أن مصر استطاعت فى ظل أولئك الوندال أن تسترد غير بعيد كثيراً من مظاهر استقلالها المحلى ؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى أصبحت السيادة العثمانية على مصر سيادة اسمية ، كل ما يهم الحكام الترك منها أن يستدروا بعض الموارد والأموال من الشعب المحكوم

ولا حاجة بنا للقول بأن مصر استردت كامل استقلالها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وان كانت قد عادت فانضوت تحت لواء أسرة جديدة

***

مما تقدم يبدو تصور النظرية الغربية لعصور التاريخ المصرى بأنها سيادات أجنبية متعاقبة ، واستبعاد متصل للأمة المصرية ، تعسفاً لا يؤيده منطق الحقائق التاريخية ؛ ولو طبقنا هذه النظرية الخاطئة على التاريخ القوى لبعض الأمم الأوربية العريقة فى الاستقلال والحرية لانتهينا فى شأنها إلى مثل ما ينتهى الكتاب الغربيون فى شأن مصر . ولنتخذ فرنسا مثلاً ، فقد نزحت إليها عقب انهيار الدولة الرومانية قبائل غازية من الشمال ، وأقام بها « الميروفنجية » على يد زعيمهم كلوفيس ، منذ القرن السادس مملكة جديدة هى مملكة الفرنج ؛ ولما انحلت أسرة الميروفنجية ، قامت بأمر الفرنج الأسرة « الكارلية » القوية ، وانتزعت عرش الفرنج ، واستمرت فى زعامة فرنسا حتى أواخر القرن التاسع ، ونبغ فيها أميران من أعظم أمراء النصرانية هما كارل مارتل الذى رد العرب فى بلاط الشهداء (سنة ٧٣٢ م) وكارل الأكبر (شارلمان) أعظم ملوك الغرب فى عصره ؛ وكان الميروفنجية والكارلية كلاهما من القبائل الألمانية الشمالية ، فهل نعتبر أن فرنسا كانت فى هذه العصور أمة مستعبدة ترزح تحت حكم النير الأجنبى ، لأن أسراً أجنبية نزحت إليها ، واستقرت بها ، وتولت زعامتها ، وعملت لحسابها وباسمها ؟ وهل نعتبر نابليون (وهو إيطالى الجنس والأصل) فاتحاً لفرنسا مغتصباً لعرشها وزعامتها ، ونعتبر أن فرنسا كانت فى عصره خاضعة للحكم الأجنبى ؟ ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أيضاً أن أدولف هتلر زعيم ألمانيا وسيد مصايرها اليوم ، إنما هو أجنبى نمسوى المولد والنشأة ؛ ومن المعروف أن الأسرة التى تتولى عرش انكلترا اليوم ، إنما ترجع إلى أصل ألمانى ، وأن معظم الأسر الملوكية الأوربية ترجع إلى أصول أجنبية ، وإذا كانت هذه الأسر اليوم لاتتمتع بمثل ما كانت تتمع به أسر السلاطين من السلطة المطلقة ، فذلك لأن روح العصر قد تطورت ، وغاضت روح العصور الوسطى ، وانتهت الأمم بأن جعلت من العروش رمزاً قومياً ليس غير

وإذا كانت مصر قد رزحت تحت نير الحكم الأجنبى فى بعض أدوار تاريخها ، فهى لم تشذ فى ذلك عن معظم الأمم الغربية التى تتمتع اليوم بكامل حرياتها واستقلالها ، ولنضرب لذلك مثلاً بأمة عظيمة هى إيطاليا ، التى لم تتمتع باستقلالها إلا منذ أواخر القرن الماضى ، والتى لبثت طوال العصور الوسطى والحديثة مسرحاً لمطامع الدول والعروش الأجنبية ، ولم تستقل فيها سوى البندقية وبعض الجمهوريات الصغيرة . ولنضرب مثلاً آخر باليونان ، وقد لبثت زهاء ألفى عام ترزح تحت نير الحكم الأجنبى ، منذ الرومان فالبنادقة فالترك ، ولم تنل حرياتها القومية إلا منذ قرن فقط ، ولم تنلها إلا بمؤازرة أوربا النصرانية ؛ وهنالك غير إيطاليا واليونان ؛ هنالك هولندة والبلجيك ، وهنالك بولونيا التى لبثت ثلاثمائة عام ممزقة بين دول ثلاث من جيرانها ، وهنالك رومانيا والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، فهذه كلها أمم حديثة فى الاستقلال والحريات القومية ، ولم يقل انسان إنها من أجل ذلك تستحق أن يسلب استقلالها وأن تسكن إلى نير المتغلب إلى الأبد

والخلاصة أننا كلما تأملنا هذه النظرية الاستعمارية فى تصوير أدوار التاريخ المصرى ، كلما بدا بطلانها وتعسفها وما يحفزها من الغرض والهوى

فليستعرض الشباب المصرى تاريخ بلاده كلما طرقت آذانه هذه النغمة الغادرة . فتاريخ مصر ، كتاريخ الأمم العظيمة ، حافل بمواطن الفخار والمجد ، وعصور الحرية والاستقلال ...

محمد عبد الله عنان
المحامى

جزيرة العرب

صفحة مجيدة من تاريخها القديم

بقلم الأستاذ رزوق عيسى

كلمة عرب وأصل معناها . المكتشفات الحديثة . الكتابات الأثرية . ملكة سبأ والسبئيون . معين والمعينيون . اكتشاف أسماء ٣٢ ملكا . التجارة القديمة وطرق المواصلات . اللبان والأطياب . المعارف والعلوم في الجاهلية . التقاليد والروايات القديمة . الاله أونيس . الأنباط . وطن الساميين الأول . الحروف الهجائية العربية أقدم من الحروف الفينيقية . شهادة من التواريخ القديمة العهد

ذهب اللغويون والمؤرخون فى معنى كلمة عرب مذاهب متعددة ، فمنهم من قال إنهم تسموا باسم جدهم يعرب بن قحطان ، وذهب فريق الى أن العرب مشتقة من « عربا » وهى مفقودة فى العربيـة إلا أنها موجودة فى العبرية والآرامية بمعنى البادية والصحراء ، ومنهم من زعم أن كلمة (عرباء) وردت فى العربية بمعنى خالص فى قولهم العرب العرباء أى العرب الخلص ، وهم أهل البادية ؛ وقال آخرون إن اسم العرب وبلادهم التى تدعى جزيرة العرب مشتق من لفظة (عربة) وهى أرض بتهامة دعيت بذلك أخذاً من يعرب بن قحطان جد العرب الأولين ، وفى فلسطين موضع يسمى عربة أيضاً كما جاء فى مراصد الاطلاع

والأقرب الى الصواب أن لفظة عرب مشتقة من (أوربى) الشمرية بمعنى سكان الخيام ، فان كلمة أور — أو — أورو التى أصبحت فى عصر البابليين والأشوريين بمعنى مدينة كان يراد بها فى عهد الشمريين الخيمة ، ثم أطلقت على الدار من باب التوسع[1] وهذا الاشتقاق ليس ببعيد ، لأن العرب من أعرق الشعوب فى القدم ، وقد عاصروا جميع الأمم المعروفة فى التاريخ كالشمريين والآكديين ، والبابليين ، والكلدان ، والأشوريين ، والميتانيين ، والحثيين ، والمصريين ، والفرس ، واليونان ، والرومان . وكانت بلاد العرب تعرف عند الأشوريين باسم أربى وأهلها أوربى أو أوروبى ، ومعناها ديار ساكني الخيام[1]

(١) راجع كتاب علم الآثار القديمة فى الكتابة المسمارية الخط « فصل الشمريين » ص ٨٥ لمؤلفه سايس المطبوع فى لندن عام ١٩٠٨ م

جزيرة العرب قديمة جداً ، ولا تفوقها فى القدم ديار مصر وبابل ، وقد جاء فى كتاب مصادر البشر لمؤلفه صموئيل لينغ الانكليزى ما نصه[2] : « عثرنا مؤخراً فى أصقاع عربية على أنباء آثار وكتابات ربما ضارعت فى قدمها أنباء بلاد مصر والكلدان ، فقد كانت بلاد العرب ، ولم تزل ، من الأقطار المجهولة الوعرة ، ولا سيما فى الأزمنة المتأخرة حينما أصبحت مقدسة فى نظر أصحابها ، ولا يجوز للرواد والرحالين الأجانب أن يطأوا أرضها ، قصد الاكتشاف والتنقيب فى طلولها الدوارس »

وقد توفق نفر من السياح الأوربيـين وعلمائهم الى التوغل فى بلاد العرب ، بعـد أن خاطروا بحياتهم وقاسوا من المشاق والأهوال مالا يوصف ، بيدأنهم نالوا مبتغاهم أخيراً ، واكتشفوا مواقع المدن القديمة ، ونسخوا كتابات عديدة وجدوها مطمورة فى الأنقاض ومسطورة على الجدران المتداعية . وفى متاحف أوربة ودور كتبها آثار البلاد العربية المنقوشة على الحجر ، وعلى ألواح نحاسية ، وعددها يبلغ اليوم نحو ثلاثة آلاف عادية . ومن العلماء الذين جاهدوا جهاد الأبطال فى الوقوف على مجاهل هذه البلاد الدكتور غلازر « Dr Glasfr » فانه راد الديار العربية الجنوبية ثلاث مرات ، ونسخ فى خلالها من صور الكتابات التى عثر عليها فى رحلاته ١٠٣١ صورة حملها معـه الى مسقط رأسه ، وبينها آثار نفيسة ، ولأكثرها فائدة تاريخية عظيمة ، إذ وقفت علماء الآثار على ما كانوا يجهلونه من تاريخ هذه البلاد ومدنيتها فى جاهليتها

لقد استفاد الباحثون المدققون فوائد شتى من أنبـاء تلك الكتابات ومن غيرها أيضاً ، حتى تسنى لهم أن يكشفوا النقاب عن أصل السكان القدماء ، ويزيلوا الغموض والابهام عن تاريخهم ويستقصوا أخبار الأمم الغابرة ، وما كانت عليه البـلاد العربية من الحضارة والتجارة فى العصور العريقة فى القدم ، واليك ماقاله الأستاذ سايس : « إن ماضى تاريخ شـبه جزيرة العرب المظلم قد

(١) المتون الأشورية ص ٣٠ لمؤلفه الأثرى أرنست بدج المطبوع فى لندن عام ١٨٨٠

(٢) Human Crigins مصادر البشر ص ٣٧ المطبوع فى لندن سنة ١٩٠٩ وللمؤلف المشار اليـه كتب نفيسة ومنها : العلم الحديث والرأى الحديث ، ومعضلات المستقبل والزردشتية الجديدة الخ

انبثق فجره بغتة فسطعت أشعته وأنارت وجه المسكونة ، فقد وجدنا أن البلاد العربية كانت قبل عصر صاحب الشريعة الأسلامية بزمن مديد أرض الثقافة والأدب والحكمة ، وكانت موقع ممالك ودول قوية بلغت شأواً بعيداً في تاريخ العالم القديم ، وانتشرت في ربوعها تجارة واسعة» إلى آخر ذلك المقال البديع [١]

إن زيارة ملكة سبا [٢] أورشليم ومثولها بين يدي سليمان ملك اسرائيل تعد من اللمع الأولى الواردة في الأخبار القديمة ، وقد جاء ذكرها في سفر الملوك من التوراة ، وكانت تلك الملكة عربية ، ويظهر أنها قدمت من ديار كانت لها حضارة عريقة في القدم ، ولها سطوة عظيمة بين الأمم ، والهدايا التي قدمتها الى سليمان تدل على أنها جلبت من حاصلات قطر اشتهر بلبانه وأطيابه ، وهذا القطر واقع في جنوبي بلاد العرب ، وقد عرف باسم سبا أو شبا في تاريخ العالم القديم

انتشرت تجارة هذه المملكة القديمة العهد في أقطار العالم ، وامتدت الى بلاد الحبشة والسومال حتى ساحل أفريقية الشرق ، والكتابات الأشورية تؤيد ذلك ، فقد ورد فيها أن سبأ كانت مملكة عظيمة في القرن الثامن قبل الميلاد ، وكانت تخومها تحاد تخوم مملكة نينوى من جهة الشمال في عصر (تغلث فلاسر) وسرجون الثالث ، فيستفاد من هذا النبأ وغيره أن بلاد العرب كانت مملكة قديمة جداً ، وقد تدرج الحكم فيها من الملوك الكهنة وحكومات المدن المستقلة ودويلات وإمارات الى اتحاد مملكة عظيمة واسعة الأطراف فسيحة الأرجاء كالتطور السياسي الذي نشأ في مصر وفي بلاد الكلدان . وكان الملوك الكهنة يعرفون باسم (مكارب) كما جاء في بعض الآثار ، وواحدهم (مكرب) ويراد به رئيس كهنة السبئيين . وتدل هذه الكلمة على أن الحكم الأول كان عبارة عن دولة تحت رياسة الله « طقراسيه » ، هذا ولفظة سبأ اسم إله أطلق على بقعة في بلاد عربية ، كما أطلقت كلمة أشور على صقع في بين النهرين وتفيد معنى الآله

ورد في بعض العاديات أن مملكة سبأ القديمة تأسست على أنقاض دولة أقدم منها عهداً نشأت في هذا الاقليم وعرفت باسم معين ، فقد عثر الباحثون المنقبون على أسماء ٣٢ ملكاً من السبئيين والمعينيين ، وهذا عدد كبير لا يستهان به ، بالنسبة الى قلة المكتشفات الأثرية في تلك الأصقاع . وجاء في بعض الكتابات أن سلطة بعض الملوك المعينيين لم تكن محصورة في المنطقة الجنوبية بل منتشرة في كل بلاد العرب حتى تخوم سورية ومصر ؛ ويؤيد ذلك كل التأييد عثور المنقبين على ثلاثة أسماء من أولئك الملوك في أطلال تيماء الوارد ذكرها في العهد القديم من التوراة في الطريق المؤدية الى بلاد الشام وسيناء . وفي البلاد العربية الجنوبية وجدت صفيحة نذر جاء فيها أن أصحابها يشكرون الآلهة « اطار » [١] على نجاتهم من الحرب الناشبة بين حاكم الجنوب وبين حاكم الشمال ، وخلاصهم من القتال الواقع بين مظة ومصر ، ويحمدون الآلهة على عودتهم سالمين الى مسقط رأسهم مدينة قوران ؛ وأصحاب هذه الكتابة يصرحون بأنهم كانوا تابعين لملك معين الدعو (رابي — يدعي — يائي) وهو أحد حكام بلاد تسار وأشور ووراء ضفة النهر

لقد ورد اسم تسار مراراً عديدة في الآثار المصرية لحصن قائم في جهة الحدود العربية ، وموقعه يمثل اليوم طرفاً من قناة السويس . هذا وكتابة أخرى تشير إلى غزة ، ويظهر من مضمونها أن سلطة الحكام المعينيين امتدت إلى أردم فبلغت فلسطين وما جاورها من البقاع ، والقبائل القاطنة فيها خضعت لسلطانهم . وقد أسست المعاقل في البراري والقفار للمحافظة على طرق المواصلات ، وأنشئت المدن العظيمة في تلك الأصقاع النائية لتوسيع نطاق التجارة والعمران منذ القدم ، لأن سيل التجارة بين الشرق والغرب كان متدفقاً يجرى بعضه بطريق البحر الأحمر وبطريق خليج فارس ، ومن أطراف هذه المياه الشرقية ينتقل إلى البحر المتوسط ، وبعضه يسير في طرق القوافل مجتازاً آسيا

وكان الاستيلاء على إحدى هذه الطرق يعد وسيلة ناجعة في ترويج التجارة وباباً للمواصلات مع ممالك عديدة ، فان سليمان ملك اسرائيل لما عقد معاهدة مع مدينة صور أخذت تجارة مملكته تنتشر انتشاراً مطرداً حتى بلغت شأواً عظيماً ، ونالت شهرة واسعة ، فقصدها التجار الأجانب من كل فج وناحية ، والحروب التي وقعت بين المصريين والأشوريين والحثيين والعيلاميين والبابليين كان منشؤها السيطرة على طرق المواصلات ، ليتسنى للدولة القابضة

(١) راجع ما كتبه في مجلة المعاصر الأنكليزية بعنوان (بلاد العرب القديمة) Ancient Arabia

(٢) سبا أو شبا لفظة عبرية معناها الانسان

(١) لعل هذه اللفظة محرفة عن استار أو اشتار

على أزمة تلك المسالك أن تروج تجارة بلادها أولاً ثم تفرض الضريبة على البضائع والأموال التى تمر فى أراضيها ، وبهذه الوسيلة تزداد إيرادها وتقوى شوكتها

كان للبلاد العربية موقع تجارى مهم ، وكانت مركز اتصال بين الشرق والغرب تحميه الصحارى الرملية الوعرة من هجوم الأعداء وتوغلهم فى قلب الجزيرة ، وتكتنفه البحور فتدفع عنه غارات الدول ؛ وكان للأصقاع الجنوبية تجارة واسعة وشهرة عظيمة ، فان اللبان والأطياب كانت تصدر بمقادير كبيرة تنفق فى أسواق العالم المعروف فى ذلك الزمن القديم ، وكانت توقد فى الهياكل والمذابح والمعابد وفى قصور الملوك والأمراء وفى دور الأغنياء ، ولم يمكن الاستغناء عنها بوجه من الوجوه ، لأنها كانت مفروضة فى الديانات القديمة كالقرابين والذبائح . فاذا تناولنا مثلاً هيكل سليمان نجد أنّ فيه كانت تقرب الذبائح ويوقد البخور لتستعطف (يهوه) ربّ الجنود ، ومثل ذلك كان يجرى فى ألوف من الهياكل والمعابد النبثة فى أطراف آسيا ، وكان يجلب معظم اللبان والأطياب المستهلكة فى الأماكن المقدسة من بلاد العرب

وقد ذهب الكاتب المحقق صموئيل لينغ أن سبب رواج تجارة اللبان والأطياب فى الشرق كان لتعطير هواء الهياكل والمذابح والمعابد حيث يكثر فيها ذبح الذبائح وإهراق دماء الكبوش والعجول وتنتشر فى أطرافها غازات فينتن المكان ويفسد الهواء ؛ ومما لاريب فيه أن أحسن اللبان وأنفسه كان يجلب من بلاد العرب . وقد عثر أحد المنقبين على صفيحة جاء فيها « إن الروائح العطرية والأطياب السبئية يفوح شذا عبيرها فى السواحل العربية الميمونة »

إن للمكتشفات الأثرية فى بلاد العرب فوائد جمة لأنها وقفت طائفة من العلماء البارزين على كثير من أنباء هذه الأمصار وعادات أهلها وأسباب اتساع التجارة التى كانوا يتعاطونها مع الديار الدانية والقاصية . وقد أرشدتنا كتابات العاديات إلى أن بلاد العرب عريقة فى القدم ، ومن ربوعها نزح طوائف من الناس ومصروا دياراً أخر . وكان للبلاد العربية حضارة وعلم وأدب ، ولكتابها حروف هجاء خاصة بهم ، وأسلوب كتابتهم يرتقى إلى عهد الكتابة المصرية القديمة وإلى الخط المسمارى ؛ وقد سبقت بأزمنة طويلة أقدم صور الكتابات بالحروف الفينيقية . وفى عام ١٨١٠ اكتشف سيتزن أول كتابة عربية فنسخها ونظمها وصفها حسب الحروف الحميرية المنسوبة إلى حمير . وقد قال العلماء إن لغة تلك الكتابة كانت سامية ، وحروف هجائها تماثل الحروف الحبشية ، ويظهر أنها معدلة عن الحروف الفينيقية وهى مكتوبة بصورة عمودية بدلاً من الأفقية

وقد أدّت مكتشفات وأبحاث الدكتور غلازر الى أن الكتابة الحميرية قائمة على نوعين أو مجموعتين من الكتابة : فالأولى كانت أقدم من الثانية ، وتتضمن حركات أصلية وصوراً وأشكالاً نحوية ، وقد عدها المستشرقون كتابة معينية ، بينما قالوا عن الكتابة الثانية إنها سبئية ، لأن لهجتها وصورة كتابتها تدل على أنها أحدث عهداً من شقيقتها . وظهر ظهوراً بيناً أن قواعد الصرف والنحو وأنواع العلوم والأداب المعينية سبقت آداب وعلوم السبئيين بزمن واف بحيث أصبحت الأخيرة قابلة لتغيرات عديدة طرأت على مفردات لهجتها ومحصت صرفها ونحوها من الشوائب والزوائد ، وليس فى هذا التبدل العجيب يد أجنبية فعلت فعلها الأدبى فى فتوحها هذه البلاد ، بل يرى جمهور المحققين أن القبائل العربية تطورت أحوالها بجهودها وانتقلت من منزلة الى أخرى بفضل تدرج عناصرها فى سلم النشوء والارتقاء حسب سنة الطبيعة

إن مملكة السبئيين يرجع عهد تاريخ حضارتها الى عصر سليمان ملك إسرائيل ، أى قبل الميلاد بألف سنة ؛ وقد كانت موجودة قبل هذا الزمن بقرون عديدة ، لأن جدول أسماء اثنين وثلاثين ملكاً من المعينيين والسبئيين يدل دلالة واضحة على رسوخ قدم هذه الديار فى الحضارة والعمران . ومن المرجح أن المكتشفات المقبلة ستقف أبناء هذا العصر على كثير من الأمور التى كان يجهلها أسلافهم . نعم إن أقدم الكتابات المكتشفة تشير الى حضارة وتجارة وعلم وأدب بزغت أنوارها فى ديار قيدار وسالع قبل عهد التاريخ ؛ وعليه قال أحد الأثريين : يجب أن تُصف بلاد العرب فى مصاف ديار مصر والكلدان لأنها إحدى الممالك القديمة التى ظهر فيها جماعات من القبائل أبلغوها الى ذروة الحضارة والسؤدد منذ العصور المتوغلة فى القدم ، وقد نطقت بعض العاديات شهادة صادقة ، وهى ان جنوب بلاد العرب يرتقى عهد مدنيته الى عصر سرجون والى منيس

تشير روايات قديمة وتنبئ أسانيد أثرية عن بلاد العرب الجنوبية أو عن البلاد المتصلة بساحل أفريقية من جهة الشمال الشرقي بأنها كانت مصدر الحضارات الأولى ، فقد جاء في أساطير البابليين أن الآله (اونيس) وهو إله الثقافة عندهم كان يخرج من الخليج الأرثري أي خليج فارس ويهذب الكلدان القدماء ، وهو أول من علمهم العلوم ولقنهم الفنون وشهد قدماء الفينيقيين ، وقالوا إن منشأهم كان من جزر البحرين الواقعة في الخليج المشار اليه . هذا والمصريون كانوا ينظرون الى البنط بكل احترام ، ويجلون قدرهم ويرفعون منزلتهم فوق الأمم الأخرى . ومن المؤكد الثابت أن موقع هذه الديار كان يمثل بلاد العرب السعيدة وأرض السومال . وقد ذهب أهل مصر في ذلك العهد الى أن مصدر ثقافتهم وينبوع آدابهم ومعارفهم ومدنيتهم لم يكن في مصر العليا والسفلى بل في مصر الوسطى في ابيدوس حيث حكم توت وأوزيريس ، وهناك مضيق يفصل النيل عن البحر الأحمر ، وهذه الشقة الضيقة من الأرض كانت من أهم وأعظم طرق المواصلات التجارية بين البلاد العربية ومصر

كانت أواصر الألفة والاتحاد متينة بين المصريين والبنطيين منذ الأزمنة القديمة ، وهذه قضية تؤيدها الكتابات المصرية القديمة العهد ، فان ما دُوّن في بطون الأسفار عن حسن الجوار بين هاتين المملكتين يخالف ما جاء مسطوراً على الحجر من عبارات النفور والكراهة الموجهة الى سائر الأمم المجاورة لمصر كالحثيين والليبيين والزنوج وغيرهم ؛ فان المصريين كانوا يلقبونهم بالبرابرة ، والوحوش الضارية ، والأوغاد والأنذال ، وهذه شهادة ناطقة تثبت ما كان للعرب القدماء من الشهامة وعزة النفس وإغاثة الملهوفين

وقد جاء منقوشاً في بعض الآثار أن طائفة من السفن التجارية أبحرت الى ديار البنط «Punt» في عصر الملكة العظيمة (هتسو) وهي إحدى ملكات الدولة التاسعة عشرة ، وكانت الغاية من تلك السفرة مبادلة البضائع بين القطرين دلالة على الولاء والصفاء . وعادت تلك السفن الى مصر مشحونة بالسلع النفيسة ، حتى أن ملك تلك الديار وزوجه رافقا ذلك الأسطول التجاري ، وحملا معهما هدايا لا نظير لها الى فرعون مصر . ويظهر أن محالفة تجارية كانت معقودة بين البلادين ، وأن سفن هاتين الدولتين كانت تمخر في البحر الأحمر وفي سواحل أفريقية منذ القدم

إن رسوم رؤساء البنط الطبيعية المنقورة على الأنصاب المصرية تشبه كل الشبه رسوم الطبقة المالكة في ديار مصر في عصورها الأولى ، وجميع الأدلة تحملنا على الاعتقاد أن وطن الساميين الأول كان في الجنوب الغربي من آسيا . وقد ذهب جماعة من المؤرخين الى أن جزيرة العرب كانت مهد الأقوام السامية قبل عصر التاريخ ، فان الباحث يرى آثارهم ظاهرة في كل صقع كشعب مهاجر أو فاتح أو غاز سكان بلاد أخرى أقدم منهم عهداً ويختلفون عنهم في اللسان والعادات والعنصر ؛ غير أن الأمر لم يكن كذلك في بلاد العرب ، فان أهاليها كانوا أصليين فيها . فاذا أخذنا مثلاً ديار الكلدان والأشوريين نراها تمثل أقواماً وشعوباً وأمماً جاء عنهم في الأسانيد القديمة وفي الروايات المأثورة أنهم كانوا قد وفدوا على بين النهرين من الجنوب على طريق خليج فارس ، وعلى طريق بادية الشام من بلاد العرب ، فأخذ هؤلاء النازحون شيئاً فشيئاً يتحدون بالشعب الشمري والأكدي بالمصاهرة ؛ وبعد مرور أجيال عديدة تغلب العنصر السامي العربي على سائر العناصر ، وأصبح سيد هذه الديار ، وأسس حضارة جديدة في عصر حمورابي ملك بابل العظيم المعدود أول من جمع وسنّ الشرائع في العالم القديم

بيد أن العنصر السامي لم يؤثر في حضارة المصريين القدماء ، لأن الساميين لم يحتلوا بلادهم احتلالاً طويلاً ، بل كانوا يحملون عليهم حملات متواصلة ؛ وقبل أن ترسخ أقدامهم في تلك الربوع كانوا يردون على أعقابهم مدحورين . أما في سورية وفلسطين فكان الفينيقيون والكنعانيون والعبريون ، وهؤلاء الأقوام لم يكونوا بالسكان الأولين ، لأنهم حينما احتلوا هذه البقاع وجدوا فيها عناصر أخرى كالأموريين والحثيين واليبوسيين ، وأصل هذه الشعوب يرجع الى السكان الأصليين المنتمين الى طائفة من القبائل المنقرضة المعروفة في التاريخ القديم باسم زاموميم ، ومن هؤلاء من وفد الى هذه الديار من خليج فارس ، ومنهم من تخوم بلاد العرب

يجد المنقب في بلاد العرب العنصر السامي سائداً منذ الأزمنة القديمة ، ولا يجد له أثراً في صقع آخر في ذلك العهد العهيد ، فقد انتشرت لغته وسارت عاداته وعمت الديار المجاورة لبلاده ، ثم تدرجت حضارته السابقة لمملكة المعينيين العريقة في القدم ، وذلك في أواخر العصر الحجري وأوائل عصر النحاس . وهنا يشاهد الباحث العصرين مشتبكين متلازمين ؛ فقد انتقل القناصون

والساكون من عصر الانحطاط إلى عصر التجدد ، فبلغوا مستوى ثقافة حديثة وحياة اجتماعية عالية ، إذ أصبحوا فلاحين وزراعين ورعاة غنم وتجارا وصناعا

لنرجع من تلك الحضارة القديمة ، ولنعد النظر فى اكتشاف الكتابة المعينية التى تدلنا على وجود حروف هجائية أقدم عهداً من الحروف الفينيقية التى اشتهرت فى العالم القديم بأنها الحروف الأولى التى استنبطت لغاية تدوين الأفكار وصيانتها من الاندثار والطموس . وقد أجمع أهل التحقيق والتدقيق على أن حروف الهجاء اليونانية والرومانية وسائر حروف هجاء الأمم الحديثة مقتبسة كلها إما رأساً أو بوسيلة من الوسائل من مخترعيها الفينيقين ، غير أن كتابة المعينين كشفت اللثام عن صور كتابة أقدم عهداً من جميع الكتابات التى ظهرت وانتشرت فى ذلك الحين ، ومن ثمّ فقد ذهب بعض العلماء الواقفين على أصل اللغة وتركيبها وتاريخها إلى أن الحروف الفينيقية مشتقة من الحروف المعينية

لاشك فى أن اللغة المعينية وحروفها أقدم عهداً بكثير من لغة الساميين وكتاباتهم ، ومن المحتمل أن العناصر السامية اختارت تلك الحروف بعد أن عدلتها وهذبتها حسب طبيعتها وميلها . وكان للمقتبسين علاقات تجارية ومواصلات بريدية مستمرة تحمل على ظهور الجمال فتخترق القوافل صحارى بلاد العرب وتعود حاملة لبانها وطيوبها وأفاويهها وآدابها ومعارفها ، ولا يعقل أن تلك الأقوام استمرت جاهلة استعمال حروف الهجاء حتى اقتبستها فينيقية من مصر ونشرتها فى أطراف المعمور . وقد أيد الأستاذ سايس هذا الرأى بقوله « إنه إذا ذهبنا الى أن مصدر الحروف ومنشأها كان فى بلاد العرب يكون أحسن حل لهذه المعضلة » لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى شبه فى كثير من الأحوال للرموز والأشارات التى تدل عليها ، فان تناولنا — مثلا — الحرف الأول وهو ألف (ثور) فان رسم الألف يشابه كل المشابهة رأس ذلك الحيوان فى الكتابة المعينية ، هذا وإن أنعمنا النظر فى الحروف الهيروغليفية وهى الحروف المصرية القديمة ، فلا نجد شبهاً لذلك الحرف

إن المكتشفات واللاتى المقبلة فى بلاد العرب ستوقفنا على أنباء الشعوب التى سكنت تلك الاصقاع ومصرتها قبل عصر التاريخ ، فقد كانت بلاد الكنعانيين متحضرة قبل حملة الاسرائيليين عليها وتدويخها ، وكان لهم حروف هجاء وآداب خاصة بهم تعد أقدم عهداً من الكتابة الفينيقية وآدابها . هذا والتنقيب فى ديار العرب وفلسطين سيكشف النقاب عن وقائع وأنباء لا تزال مطمورة فى أنقاض المدن القديمة التى تضارع بل ربما تفوق فى قدمها بلاد مصر والكلدان ، وهى تنتظر بفروغ صبر معاول المنقبين لتنبشها من مدافنها وتنشرها فى عالم الظهور لكى ترى نور الشمس الساطعة ، بعد أن احتجبت عنها قروناً عديدة

بغداد **رزوق عيسى**

عقوبة الاعدام

رأى الفريد روكو وزير حقانية ايطاليا

للأستاذ محمود خيرت

فى سنة ١٨٥١ ساق بعض الحراس الفرنسيين شاباً فى العقد الثالث من عمره الى المقصلة تنفيذاً للحكم الصادر عليه . وما كاد يقترب منها وتقع عليها عيناه حتى اضطرب وجُنّ ، فوقف وكأنه تسمّر فى الأرض ، وأخذ الحراس يدفعونه اليها دفعاً ، وهو يقاومهم مقاومة الجبار اليائس ، وكان وافر الجسم مفتول الساعدين قوى العضلات

وكان الناس من حولهم ينظرون إلى هذا الصراع بين قوتين غير متعادلتين تريد إحداها للأخرى الموت ، وتريد هذه لنفسها الحياة . حتى إذا مضت على ذلك نحو ساعة والحراس كلما تقدموا به نحو المقصلة خطوة رجع هو بهم الى الوراء خطوتين ، خارت قواهم ولم يجدوا خيراً من أن يعودوا أدراجهم به ، والناس يظنون أن الأمر وقف عند هذا الحد ، وكأن كابوساً ارتفع عن صدورهم بعد ما رأوه من هول الموقف ، وما كان إلا صراعاً عنيفاً بين حياة وموت . ولكن الجنود عادوا به فى المساء بعد أن ضاعفوا عددهم ، وبعد أن أحكموا وثاقه حيث نفذوا الحكم فيه

وكان من بين من حضروا هذا المشهد المثير شارل هوجو ، وكان من أنصار إلغاء عقوبة الاعدام ، فوصف ما رآه وأفاض فى شناعته بجريدة الحادث (Evénement) ولكن النائب العام وجه اليه هو ومدير الجريدة تهمة تعمّد احتقار القانون

أما شارل فقد كان الذى تولى الدفاع عنه أبوه فكتور هوجو الكاتب الكبير ، وإذا ذكرنا فكتور هوجو فقد ذكرنا قوة الجنان ، وسحر البيان ، وذلاقة اللسان ، ولاسيما أنه إنما كان يدافع عن ولده وفلذة كبده ، حتى أنه قال فى بعض ما تناول دفاعه : « أنا المجرم دون ولدى ، لأنى أنا الذى وقفته هذا الموقف ، وكنت من خمس وعشرين سنة لا آلو جهداً فى محاربة عقوبة الأعدام . وقد عز علىّ ألا أكون نصيراً للحياة البشرية أطلب احترامها والأبقاء عليها ، مناديا بذلك فى كل وقت وعند كل مقام بأعلى صوتى وبملء فمى ، لأن عقوبة الأعدام بقية من بقايا الدم بالدم شريعة الوحشية الأولى »[1]

وقد كان هناك غير فكتور هوجو كثيرون من أنصار هذه العقيدة ، وأكبر حججهم فى شناعة هذه العقوبة أن إعدام المجرمين فوق أنه مناف لقواعد الرحمة ، وأن العقوبة يجب أن يراعى فيها الاصلاح لا الانتقام ، فان منظره يقسّى قلوب الناس ، ويبذر فيها بذور الغلظة والتوحش

ولكن كيف نسى هؤلاء المفكرون أن الثورة الفرنسية نفسها التى قررت حقوق الانسان ، والتى يشيد بذكرها فكتور هوجو وغيره لم تقم إلا على الدم ، وكيف يريدون أن تشمل السفاكين رحمة القانون وقد وطئوا بأقدامهم هذه الرحمة وهم يقتلون

ألا إن شريعة الدم بالدم ، لم تكن أثراً من آثار الوحشية الأولى ، وإنما كانت سبباً شريفاً من أسباب العدل ، وأثراً محموداً من آثار الرحمة لا بالمجرمين ولكن بالناس أجمعين

إن طبيعة الحياة نفسها تقضى ببتر العضو الفاسد من الجسد حتى لا يتعدى فساده اليه ، فكيف نقبل هذا فى الجسم الواحد ولا نقبله فى جسم المجتمع كله ، بل إن أبسط قواعد الفهم ترباً بنا أن نسلم أن إفلات المجرم من حكم القانون لا يشجعه على السير فى شروره وقد استمرأ طعم العدوان وأمن غوائل العقوبة

وعلى كل حال فان عقوبة الاعدام برغم محاولة هؤلاء الأنصار لا تزال قائمة ، مع أنها أبطلت فى فرنسا مرة ، وفى إيطاليا بعدها مرة أخرى . ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب

ومع ذلك فهذا رأى المسيو الفريد روكو بصدد هذا البحث ، وحسبنا أنه من أئمة التشريع فى ايطاليا ، وهو وزير حقانيتها قال :

« لما أن كانت إيطاليا من أندر الدول التى ألغت عقوبة الأعدام سألنى كثيرون عما إذا كان الغاؤها عاد بالفائدة على مجتمعنا ؟ وقبل أن أخوض فى الرد على السائلين أسجّل هذا الحادث الغريب ، وهو أننا أخذنا هذا التشريع عن الفرنسيين برغم

---

(١) راجع هذا الدفاع فى ص ٤٣٩ من كتاب « قبل المنفى » طبعة نلسون باريس

أنهم بعد أن جرَّبوه عدلوا عنه للنتائج الخطيرة التي ترتَّبت عليه. أخذناه عنهم على سبيل التجربة نحن أيضاً، وكان ذلك فى عهد لم يكن يخطر ببالنا قيام نظام الفاشستيّة فيما بعد، وعلى كل حال فان هذا الأصلاح الذى فكر الشارع الايطالى فى إدخاله على قوانيننا الجنائية لم يجرّنا إلى الفشل الذى أصاب جيراننا من إدخاله على قوانينهم

ولكن يلاحظ أن هبوط نسبة الجرائم بعد هذا التعديل لايمكن فى الواقع إرجاعه إلى مجرد إلغاء هذه العقوبة ونحن نرى انخفاضها فى كثير من البلدان التى جرت قوانينها على إعدام القتلة

على أننا مع ذلك غير آسفين لسنّ تشريع كهذا هو مما لاشك فيه اتجاهٌ محمود نحو الرفق بالأنسانية. بل إن أنصاره عندنا لم يحذوا حذو روبسبيير الذى أرسل كما نعلم آلاف الأبرياء إلى المقصلة، وهو هو الذى كان يشيد بذكره ويعتبر بقاء عقوبة الأعدام ضرباً من ضروب الوحشية

وقد دل إحصاء عدد الجرائم التى كانت تستوجب هذه العقوبة بعد الحرب الكبرى على اطراد فى هبوط النسبة التى أشرنا إليها، فان عدد حوادث القتل من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٠ ينيف على ستة آلاف حادثة، ولكن هذا العدد هبط فى السنة الأخيرة إلى أكثر بقليل من ألفين، إلا أن جزءاً كبيراً من هذا العدد الأخير يتعلق بالجرائم التى لا يمكن لأية عقوبة مهما كانت من الشدة أن تحول دون وقوعها كالجرائم التى أساسها الشهوات الثائرة وما يترتب عليها « crmies passionnrels » كما يسميها الفرنسيُّون، لأنها بطبيعتها لامناص من وقوعها؛ فالرجال والنساء إذا لدغتهم الغيرة أو خدعوا فى حب وجدوا كل شئ تقع عيونهم عليه مصبوغاً بالدم، فلا يلبثون أن يندفعوا إلى الأثم مهما وقفت بينه وبينهم كل عقوبات الدنيا، حتى ان محلّفى محاكم البلدان اللاتينية أصبحوا على اعتقاد ثابت بأن هذه الجرائم لايمكن تجنبها؛ ولذلك فهم يقضون فى الغالب ببراءة من يساقون إلى ارتكابها. على أننى وإن كنت أميل إلى هذا الأتجاه — لأن هذه الجرائم لا تخلو دائماً من ظروف مخففة تحيط بها — إلا أننى أرى أن تعليل هذه الأحكام دائماً باضطراب الحواس عند ارتكابها فيه كثير من التطرف

ذلك لأن لكل عقوبة بشرية دائماً وجهين يجب ملاحظتهما

فاذا ما نظرنا إلى الجريمة من حيث الفرد الذى أقدم عليها فى ذاته كان ماذهب إليه لمبروزو من عدم قيام المسؤولية الجنائية بسبب ما يحيط به مقبولاً، لأنه وإن كان حراً فيما فعل إلا أنه ما كان فى مقدوره أن يفلت من تأثير الأسباب الباطنة الراسخة فيه. وفى هذا الموقف يجب اعتبار العقوبة كوسيلة من وسائل إصلاحه لا كعقوبة يراعى أن يتساوى أثرها مع أثر الجرم الذى أقدم عليه. وفى الواقع كيف يسوغ لك أن تعدم شخصاً كان فى جرم تحت سلطان قانون الوراثة، أو تأثير البيئة، أو كانت نفسه فقيرة من أسباب التهذيب والتربية، بغير أن تكون قاسياً عليه بعيداً عن إنصافه؟

أما إذا اعتبرناه عضواً فى جسم المجتمع الذى يعيش فيه، فمؤاخذته على هذا الاعتبار يجب أن يكون لها صفة العقوبة التي يستحقها وإن كانت صارمة

وإذا سألتنى الآن رأيى فى ضرورة عقوبة الأعدام، أجبتك بأنها يمكن أن تكون كذلك فى أغلب الأحوال. بل إننى لأعلم أن كثيراً من الجرائم الوحشية التى تستحق الأعدام كان يمكن ألا تقع لو أن هذه العقوبة الشديدة قائمة كالجرائم التى تقع من الفوضويين

وقد ذكرنى هذا البحث بحادثة ضمنها القصصى الفرنسى جول ڤيرن فى احد كتبه تتلخص فى أن بعض المهاجرين كادوا يغرقون على مقربة من إحدى جزر المحيط الهادى، ولم يكن على ظهرها غير فيلسوف فوضوى نفر من العالم وفر منه إليها. فلما أقبلوا عليه أكرمهم ودعاهم إلى اعتناق مذهبه. ولكن أسباب الحياة تغيرت بعد قليل ودب الخلاف فيما بينهم، فلم ير لنشر السلام بينهم إلا أن يفرض عليهم إرادته فرضاً فكان مثله فيهم كمثل الحاكم المستبد (ديكتاتور)

وهذه الغاية لاتبعد عن نظريتى فى العقوبة كثيراً، فالأحكام التى يقررها قانوننا الجنائى أشبه بهذا الحاكم، بغيرها لا يكون هناك أمن على الحياة، وإنما تكون الفوضى..»

محمود خيرت

بقلم قضايا المالية

مقتل شاعر...

للأستاذ على الطنطاوى

أفاق « هُدْبَة بن خَشْرَم » وما يدرى أصبح أم مساء ، وما يعلم من أمر الحياة شيئاً . ولقد غبَر عليه سبعة أعوام ما رأى فيها وضح النهار ، ولا اجتلى صفحة السماء . كأنما هو نصف حىّ ، وكأن حياته « مختصر حياة » . . فالسنوات السبع(١) بنعيمها وبؤسها ، وليلها ونهارها ، ليلة واحدة ، طالت وامتدت ، ثم لا يكون صبحها إلاّ الموت . . والدنيا على رَحْبها وسَعَتها ، وجمالها وجلالها ، غرفة ضيّقة فيها أكثر معانى القبر . . . وما بعدها إلا القبر !

ونظر يميناً ، ونظر شمالاً ، وجعل ينفض المكان بعينه ، فلا يبصر إلاّ الظلام ، وحاول النهوض فجذبته الى الأرض سلاسل غليظة ، شدّوه بها الى حلَق متينة . . .

***

سمع صَلْصَلَةَ الحديد فى عنقه ويديه ، فعاد الى نفسه يذكر ما كان من أمره ، ويستعيد قصته كلها ، ويرى كيف . . .

. . . دخلت عليه أخته فاطمة ، وبيدها المِجْمَرَ ، فقال لها :

— ويحكِ ما هذا ؟

— هذا لك ! قم استجمر ، إنما أنت من النساء !

— وما ذاك لا أمّ لكِ ؟

— فقالت : أنت قابع فى كِسْرِ الخيمة كما تقبع العجوز ، وهذا زيادة يتغزّل فى أختك ، ويرسل فيها الشعر يفضحها به فى العرب

— ماذا ؟ زيادة ؟

— زيادة ! نعم . زيادة يهتك نساءك ، ويَفْرى عرضك . . .

فوثب هُدبة يقول : زيادة يهتك نسائى ، ويفرى عرضى ؟ . . والله لأجأنّه بهذا السيف . فقامت اليه تعنّفه وتلومه :

— والله ما علمت أنك مجنون إلاّ الساعة ! أتعمدُ الى ابن عمك فتقتله ، فتحقق ما قاله فىّ ، وتنصرف بسبّة الدهر ؟ قلْ فى أخته « أم قاسم » مثل ما قال الخبيث فى أختك ، فاذا بدأك بالشرّ ، جزيته به شراً

— إذن لأجعلنّها والله أحدوثة الأبد

— شأنك بها يومئذ . . .

***

وكان ما ظنّت فاطمة فبيّت زيادة هدبة وأهل بيته ، وهم عنه غافلون ، فضرب هدبة على ساعده ، وشجّ أباه خشرماً . وانصرف يقول :

شججنا خشرماً فى الرأس عشراً	ووقفنا هديبة إذ أتانا

فثارت ثائرة هدبة ، فتقلد سيفه وانصرف لا يلوى على شىء ، حتى وجد زيادة فجلّله به فقتله . ولما سكت عنه الغضب ، ورأى أنه قتل رجلاً مسلماً ندم وجعل يلوم نفسه ويقرّعها :

— ويل لى ! ماذا صنعت ؟ أعمدت الى ابن عمى فقتلته ، ومن قتل نفساً مؤمنة فكأنما قتل الناس جميعاً . أفعلتها من أجل هفوة لاتقدّم ولاتؤخر : يانفسُ ما أضلك وأشقاك ! ألم يردعْكِ دين ؟ ألم يحجزكِ إيمان ؟ ألم تُنَهْنه من عَزْمِك جهنّم ؟ ماذا تقولين لربّك غداً ؟ وانطلق يقول لها هذا وشبهه حتى طلع الفجر . . .

وكان الغد ، فاذا عبد الرحمن « اخوزيادة » عند أمير المدينة سعيد بن العاص يشكو اليه قتل أخيه . وأحضر سعيد هدبة ، فلم ينكر ولم يكذب . . . . وكره سعيد أن يقتل هدبة ، وهو الشاعر المتقدم ، لسان بادية الحجاز ، وهو أخو ثلاثة كلهم شاعر : حوط وسيحان والواسع . . . وهو الفارس الكريم المحبوب . . ولم يكن يستطيع أن يعفو أو يغيّر حكم الله

فبعث بهما سعيد الى « معاوية »

وكان معاوية ضنيناً بهذا الشاعر أن يعرضه على القتل ، ولكنّ حكم الله فوق هوى أمير المؤمنين . . . فلما مثلا بين يديه ، قال عبد الرحمن :

— أشكو اليك يا أمير المؤمنين مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى !

فقال معاوية :

— يا هدبة ! قُلْ

— فقال هدبة « مرتجلاً » :

ألا يا لقومى للنوائب والدهر	وللمرء يردى نفسه وهو لا يدرى
وللأرض كم من صالح قد تلمأت	عليه فوارته بلماعة قفر
فلا تتق ذا هيبة لجلاله	ولا ذا ضياع هنّ يتركن للفقر

حتى قال :

رُمينا فرامينا فصادف رمينا	منايا رجال فى كتاب وفى قدر

(١) حبسه معاوية سبع سنين فى المدينة لسبب ستعرفه ، وقيل بل حبسه ثلاثا فقط « الأغانى »

فلما رأينا أنما هى ضربة من السيف أو إغضاء عين على وتر
عمدنا لأمر لا يعير والدى خزايته ولا يسب به قبرى
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك فى أموالنا لم نضق بها ذراعاً ، وإن صبر فنصبر للصبر

فقال معاوية :

— أراك أقررت بقتلك صاحبهم

وكره أن يقتله ، وما كان له أن يعفو ، ففكر ثم قال لعبد الرحمن :

— هل لزيادة ولد ؟

— قال : نعم ، المسور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولى دم أبيه

— قال : إنك لا تؤمَن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق . والمسور أحق بدم أبيه ، فليرد هدبة الى المدينة ، فليحبس بها حتى يرشد المسور فيكون له حكمه فى القاتل

وتنبه هدبة وسمع مرة ثانية صلصلة الحديد ، وأحس بدنو الساعة التى يقف فيها على شفير الهاوية فاما الى موت ، وإما الى حياة . فجزع واضطرب ، ثم أدركه من نعمة الايمان ما يدرك كل مؤمن حاق به خطر ، فسكن واطمأن ، وراح يهدىء نفسه ويسكنها . . . ويقول :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ، ويفك عانٍ ويأتى أهله النائى الغريب(١)

***

فلما كان صباح تلك الليلة ، لم يسمع فى المدينة إلا نبأ واحد ، يجرى على كل لسان ، ويلج كل أذن :

— اليوم يوم هدبة — اليوم يسلم الى المسور بن زيادة ليحكم فيه — إنه سيقتله — بل سيعفو — لن يعفو عنه — لن يقتله . . . .

وخرج الناس أرسالاً الى الحرة ، فلم ير مثله من يوم ، خلت فيه المدينة إلا من شيخ فانٍ أو امرأة عاجزة ، وانتقلت بأهلها الى الحرة . . . .

وما هى حتى جيء بالرجل وهو مثقل بالحديد ، وقد صدىء عليه وحز فى جسمه ، وبليت من دونه ثيابه . فماج الناس وازدحموا بالمناكب ، واشرأبت الأعناق ، وارتاع النساء وأجفلن وعرتهن رعدة . . . ثم فاضت منهن العيون شفقة ورحمة

ثم انتهى به الى الحرة ، وقد جلس فيها الأمير سعيد بن العاص ووجهاء المدينة ، وأقيم المسور ليقول كلمته . وقام اليه رسول معاوية فعرض عليه عشر ديات من خالص مال أمير المؤمنين ، فأباها ، فعرض عليه سعيد ووجهاء المدينة أضعافها فأبى الا قتل هدبة . . .

فاصفرت وجوه الناس ، وودوا لو حالوا بالقوة بين هدبة وبين القتل ، ولكن حجزهم احترام الحق ، ومنعتهم هيبة الدين فلبثوا صامتين كأن على رءوسهم الطير ، ونظروا الى هدبة . فرفع رأسه وأنشد بصوت شجى رائع :

ألا عللانى قبل نوح النوائح وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح
وقبل غدٍ يا لهف قلبى من غدٍ إذا راح أصحابى ولست برائح
إذا راح أصحابى تفيض عيونهم وغودرت فى لحدٍ علىَّ صفائحى
يقولون هل أصلحتم لأخيكم وما القبر فى الأرض الفضاء بصالح

فضج النسوة بالبكاء ، وماج الناس ، فأشار اليهم فأسكتهم ، وخاطب امرأته وكانت من أجمل النساء وكان أجدع :

أقلى علىَّ اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
ضروباً بلحييه على عظم زوره إذا الناس هشوا للفعال تقنعا
وحلى بذى أكرومة وحمية وصبراً اذا ما الدهر عض فأسرعا

وعرى الناس صمت عميق ، وأقبلوا ينظرون بماذا تجيب هذه المرأة : أتفى وهى الشابة الجميلة الفتانة لرجل أجدع هو الساعة ميت ، وتقيم على عهده ، وتحرم على نفسها من أجله الرجال ، أم هى تعده وتمنيه ، حتى اذا مات انطلقت فتزوجت ؟ وجعلوا يتهامسون ، ويتقولون . . .

أما هى ، فلم يكن منها إلا أن مالت الى رجل ، فسألته شيئاً ، ثم أرسلت ملحفتها على وجهها هنيّة ، ثم عادت فاذا . . . فاذا هى قد جدعت أنفها ، وقطعت شفتيها . . .

وقالت : ياهدبة ! أتراني متزوجة بعد ما ترى ؟.. فقال : لا ، الآن طاب الموت ، ثم استأذن فى ركعتين فصلاهما وخفف ، ثم التفت الى من حضر ، وقال : والله لولا أن يظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما

ثم تقدم من المسور وقال :

أثبت قدميك ، وأجد الضربة ، فانى قد أيتمتك صغيراً وأرملت أمك شابة . . .

على الطنطاوى

(١) من أبيات له

بين فنى التاريخ وفن الحرب

١١ – خالد بن الوليـــد *

فى حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهاشمى

رئيس أركان الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعـــير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

فوصلت المقـدمة مساء الى القرب من ثنية اليمامة ولقيت مفرزة من بني حنيفة نياماً فى أسفل العقبة فباغتتهم وأسرتهم ؛ وكانت هذه المفرزة مؤلفة من ستين رجلاً بقيادة مجاعة بن مرارة أحد رؤساء بنى حنيفة

والروايات جميعاً متفقة على أن مجاعــة خرج من اليمامة على رأس سرية يطلب بثأر له فى بنى عامر وبنى تميم ، لأن بنى عامر منعوه من أن يتزوج خولة بنت جعفر . وبعد أن باغت بني عامر عاد بخولة ووقف فى أسفل العقبة مع رجاله ليبيت ليلته هناك وإذا المسلمون يباغتونه ويقودونه مع رجاله أسرى الى خالد

والذى يلوح لنا أن مجاعة كان يراقب مجئ جيش المسلمين من الثنية — أى عقبة الجيسية . ويظهر أن قوة المسلمين باغتته دون أن يستطيع التملص منها ، فلما وقف أمام خالد زعم أنه خرج للثأر

وتزعم الروايات أن خالداً قتل رجال مجاعة لتأكده كفرهم ، واستبقى مجاعة ليستفيد منه فى حركاته على مسيلمة . فيا ترى هل تواطأ مجاعة مع خالد على مسيلمة ، أو أنه تأكد نصر المسلمين فأراد أن يسوغ موقفه أمامهم فعرض الخدمة على خالد ؟ أو أنه خرج برجاله ليلتحق بجيش المسلمين فيدلهم على عورات أعدائهم ؟ ذلك مالا نعلمه العلم الأكيد . والمحقق أن مجاعة ظل محجوراً عليه فى معسكر خالد وقام بالوساطة بين خالد وبني حنيفة لعقد الصلح بعد انكسار جيشهم فى عقرباء ، فأفاد الفريقين بتلك الوساطة

ولابد أن خالداً استجوب مجاعة فاستقى منه جميع الأخبار الموثوق بها عن مسيلمة وجيشـــه ، فعلم منه أن مسيلمة ينتظر وروده فى عقرباء

المعركة

فى رواية نقلها ابن حبيش أن خالداً لما تثبت من عسكرة جيش مسيلمة فى عقرباء شاور أصحابه فى الأمر فأشـاروا عليه جميعهم أن يتقدم نحو عقرباء . وكانت الأخبار تنم على أن طليعة الحنفيين يقودها الرحال ، وهو من رؤساء بني حنيفة ، فتقدم خالد حينئذ بجيشه نحو العدو . فجعل أبا حذيفة على الميمنة وشجاع ابن وهب على الميسرة ، وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المهاجرين ، وثابت بن قيس يحمل راية الأنصار . وعزل خالد براء بن مالك من قيادة الخيالة وأحل محله أسامة بن زيد

أما جيش مسيلمة فكان مولياً وجهه شطر الشمال الغربى ومترتباً فى سهل عقرباء بين جبل صلبوخ ووادى حنيفة . فيستدل من ذلك على أن الأرض كانت صالحة لاتخاذ نظام القتال ولحركة الخيالة ، وتنم الروايات على أن ريحاً جنوبية مغبرة هبت فى وجه المسلمين وزحزحتهم عن مكانهم فى القتال — أى أن جبهة المسلمين كانت موجهة نحو الجنوب الشرقى . ويظهر أن قوة الرحال انسحبت لما رأت المسلمين قادمين نحوها . وكان جيش مسيلمة مرتباً على الأسلوب الشائع ومنقسماً الى ثلاثة أقسام : الميمنة والميسرة والقلب — ولم يكن الضعن خلفه لأن قرى بنى حنيفة كانت فى الخلف على مانعلم

وكان محكم بن طفيل — وهو من أجلّ رؤساء بنى حنيفة شأناً على الميمنة ، والرحال على الميسرة ، وشرحيل بن مسيلمة يقود القلب . فكان مسيلمة وراء القلب يراقب مجرى القتال

وبعد أن قضى المسلمون ليلتهم فى عقبة الجيسية — أى ثنية اليمامة — واستوثق خالد من أمر مجاعة ، تحرك الجيش صباحاً وكانت الشقة بينه وبين عقرباء مسير يوم . وفى رواية نقلها الطبرى أن الموقع الذى باغت المسلمون فيه مجاعة بن مرارة يبعد عن عسكر مسيلمة مسير ليلة . والحقيقة أن المسافة بين العقبة وعقرباء لا تزيد على خمسة وعشرين ميلاً — أى مسير يوم فى ذلك الزمن

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »

والظاهر أن خالداً قضى ليلته التى سبقت يوم المعركة قريباً من جيش مسيلمة ، لأن المعركة بدأت صباحاً واستمرت الى العصر . وكان الموقع الذى اختاره كثيباً مشرفاً على اليمامة كما ينقله الطبرى . وسبق أن رأينا من وصف فلبى لرابية الابكين أنها تشرف على وادى حنيفة وتتسلط على الأرض المتدة الى الجنوب . فالأرض فى الشمال تتسلط على الأرض فى الجنوب ، وكان لوضع الأرض على هذه الصورة فائدة لجيش المسلمين

وليس لدينا معلومات عن تعبئة المسلمين فى ميدان القتال ، وتدل الأخبار على أن أبا حذيفة كان يقود الميمنة وشجاعا الميسرة وزيد بن الخطاب القلب وأسامة بن زيد الخيالة . فهل كان كل من المهاجرين والأنصار على مجنبة من المجنبتين ، وكانت القبائل فى القلب ؟ أو أن المهاجرين والأنصار كانوا فى القلب وكانت القبائل فى المجنبتين ؟ أو أن المهاجرين كانوا فى القلب مع قبائل الحجاز ، وكان الأنصار على إحدى المجنبتين وكانت قبـــائل البادية فى المجنبة الأخرى ؟

هذه أسئلة تصعب الاجابة عنها . والواضح من مجرى القتال أن إحـدى المجنبتين (ولعلها الميسرة) انهزمت فتلاها القلب ووصل الى الخيام فى الضعن . وأن أهل القرى — المهاجرين والأنصار وأهل الحجاز — عزوا هـذه الهزيمة التى كادت تقضى على المسلمين الى أهل البادية . فلنا من ذلك أن أهل البادية كانوا فى الميسرة ، وكان المهاجرون مع بعض قبائل الحى فى الميمنة ، والأنصار مع البعض الآخر من قبائل الحجاز فى القلب . ويظهر أن الخيالة كانت فى الامام فانسحبت الى الميسرة لتراقب الوادى ، وكان الضعن وراء القلب وفيه الخيام والنساء . ووقف خالد بن الوليد وراء القلب يراقب سير القتال

صفحات القتال

نشبت المعركة صباحاً واستمرت الى العصر . فبذل الفريقان قصاراهما لتغلب أحدهما على الآخر واقتتلا اقتتالاً شديداً . وكما يقول الطبرى كانت حرب لم يلق المسلمون مثلها قط

وجرى القتـال فى ثلاث صفحات : تغلب الحنفيون فى الصفحة الأولى على المسلمين وأزاحوهم الى الضعن وكادوا ينتصرون عليهم . وفى الصفحة الثانية كر المسلمون راجعين فتغلبوا على أعدائهم فأزاحوهم من المحل الذى وصلوا اليه . وبعد أن تضافرت جهودهم استطاعوا أن يهزموا الحنفيين . وفى الصفحة الثالثة اعتصم الحنفيون فى الحديقة فحاصرها المسلمون من كل صوب ودخلوها عنوة وقضوا على البقية الباقية من الحنفيين

ونذكر فيما يلى مجرى القتـال فى كل صفحة من الصفحات الثلاث :

الصفحة الأولى

بدأ القتال صباحا بتحميس القواد رجالهم بالكلمات المأثورة والخطب الحماسية . فنادى شرحبيل بن مسيلمة فى رجاله قائلاً : « يابنى حنيفـة اليوم يوم الغيرة ، إن هزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات . قاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم »

وكان فى أول القتال براز من الفريقين كما جرت عليـه عادة العرب ، فقتل فى هذا البراز الرحال بن عنفوة الذى كان فى طليعة الحنفيين قبل القتال . وكان على الميسرة قتلة زيد بن الخطاب ، ويظهر أن رؤساء آخرين من بنى حنيفة قتلوا فى البراز مما حمل الطبرى على القول : « قتل الرحال وأهل البصائر من بنى حنيفة » وبدلاً من أن يوهن هذا القتل عزائم بنى حنيفة شدد عزيمتهم فتذامروا وحمل كل قوم فى ناحية . ويلوح من مجرى القتال أن الضربة كانت قوية من الجانب الأيمن على ميسرة المسلمين فزحزحتها من محلها وتراجعت منكسرة لاتلوى على شيء . فأثر ذلك فى موقف القلب فرجع متقهقراً وبنو حنيفـة يطاردونه الى أن وصلوا الى المعسكر فقطعوا أطناب الخيام

ومن الروايات ما يزعم أن ريحاً جنوبية مغبرة هبت فى وجوه المسلمين فضعضعت صفوفهم ، فاسـتفاد بنو حنيفة منها فهزموا المسلمين حتى أزاحوهم من محلهم وطاردوهم الى المعسكر فدخلوا فى الفسطاط فرعبلوه بالسيوف

والروايات متفقة على أن بعض الأعداء دخل خيمـة خالد بن الوليد وكان فيها مجاعة مكبلا بالحديد قيـد مراقبة أم تميم التى تزوجها خالد بعد قتله مالك بن نويرة . فأراد الحنفيون إنقاذ مجاعة فهموا بقتل أم تميم إلا أنه منعهم من ذلك . فقال لهم : « لاتتشاغلوا فى المعسكر ، ودونكم الرجال » ففى مثل هـذا الموقف الحرج برز خالد الى الميدان شاهراً حسامه تشجيعاً للمسلمين ومنادياً بشعار « يا محمداه ! »

ويكاد المؤرخون جميعاً يتفقون على أن خالداً بفراسته وبطولته أنقذ الموقف . ولولا قيادة خالد وجلادة الصحابة الذين لقوا حتفهم بعد أن أظهروا للمسلمين أمثلة حسنة ، لدارت الدائرة على المسلمين ولا ريب

الصفحة الثانية

تبدأ الصفحة الثانية بدعوة الرؤساء من المسلمين الى الثبات فى محالهم والكر بعد ذلك على الأعداء

فثابت بن قيس الذى كان يقود الأنصار كان ينادى الأنصار قائلاً : « بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ، هكذا عنى حتى أريكم الجلاد » وقال زيد بن الخطاب الذى كان يقود القلب حين انكشف الناس عن رحالهم — أى المعسكر — : « لا تحوز بعد الرحال » وقام البراء أخو أنس بن مالك ينادى قائلاً « أنا البراء ابن مالك . هلم الى » أما أبو حذيفة الذى كان يقود الميمنة فكان ينادى قائلاً : « يا أهل القرآن ! زينوا القرآن بالفعال »

وفى مثل هذا الوقت العصيب تدبر خالد الموقف ففكر فى حيلة يعيد بها نخوة المسلمين ، ويزيد حماستهم ، ولا سيما لما رأى أهل القرى يجبنون أهل البادية وهؤلاء يجبنون أهل القرى

وتكاد الروايات جميعاً تتفق على أن القبائل من أهل البادية انهزموا أول مرة فألقوا الوهن فى صفوف المسلمين . والظاهر من نتائج المعركة أن أهل القرى ثبتوا « فاستحر بهم القتل » كما يذكر الطبرى . وكان التدبير الذى توصل اليه خالد لينقذ الموقف ويتغلب على عدوه منحصراً فى أمرين :

أولاً — فصل أهل القرى عن أهل القبائل ، ووضع كل فريق منهم فى جانب . فكان الأنصار والمهاجرون وأهل القرى الآخرون فى جانب ، والقبائل فى جانب آخر . لأن انهزام المسلمين أوقع الخلل فى ترتيب المعركة ، فاختلطت الميسرة بالقلب ، والقلب بالميمنة ، وتخلى الناس عن رؤسائهم

ثانياً — طلب من كل جانب أن يمتاز ، وذلك لما رأى أهل القرى يعزون سبب الخيبة الى القبائل ، والقبائل تعزو الخيبة الى أهل القرى . وفى هذا تناحر لدى الفريقين ، وإذا ما اشتد التناحر يؤدى الى التقاعس

فصرخ فى المسلمين طالباً منهم أن يمتازوا ليتبين من أين يأتى الخلل . وكان يريد بذلك أن تبرز الفرق فلا ينسب اليها ذلة الانكسار . ونال بذلك ما أراد . فامتاز أهل القرى والبوادى ، وامتازت القبائل من أهل البادية ، فوقف بنو كل أب على رايتهم كما يذكر الطبرى . فتولى خالد بنفسه قيادة صفوف أهل القرى ، فقاموا جميعاً قومة واحدة فقاتلوا قتال الأبطال . وكان خالد فى أول الصف يشجع المسلمين ببطولته ولا يقابله أحد إلا قتله . وكان يفتش عن مسيلمة ليقتله ، لأنه عرف أن الحرب لا تركد إلا بموته ، وأن بنى حنيفة لا تحفل إلا بقتله . وكان من أمر ذلك أن تشجع المسلمون فصدوا العدو

ويذكر الواقدى أن زيد بن الخطاب كان يحمل راية المسلمين فلما رأى أصحابه ينصرفون من أطرافه قال : « والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتى ؛ عضوا على أضراسكم أيها الناس ! واضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً » ولم يزل يشجع أصحابه الى أن قتل والراية فى يده ، فأخذها أبو حذيفة ، فجادل بسيفه حتى قتل . أما ثابت بن قيس فكان يحمل راية الأنصار ، فنادى فى قومه « العزة لله ولرسوله ولأحزابه . أرونى كما أريكم » ثم جلد فى الأعداء وقاتل حتى قتل . وتسلم راية المسلمين سالم مولى أبى حذيفة ، وظل يناضل عنها الى أن قتل ، فتسلمها آخرون وقتلوا

وإزاء هذه الجهود المتضافرة والأمثلة المشجعة تمكن المسلمون من أن يزحزحوا الأعداء من مكانهم حتى أزاحوهم تماماً ، فأخذوا يطاردونهم . وفى مثل هذا الحين أخذ محكم بن الطفيل المدعو بمحكم اليمامة يشجع بنى حنيفة منادياً : « يامعشر بنى حنيفة الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات ، وينكحن غير حصينات ، فما عندكم من حسب فاخرجوه » . فقاتل قتالاً شديداً

أما أهل اليمامة فلما رأوا المسلمين يركبونهم صرخوا فى وجه مسيلمة قائلين له : « أين ما كنت تعدنا ؟ » فأجابهم قائلاً : « قاتلوا عن أحسابكم » ، ولما رأى المحكم أن الدائرة دارت على بنى حنيفة صاح فيهم : الحديقة ! الحديقة ! يريد بذلك أن يتحصنوا فيها ويقاوموا المسلمين . فانسحبوا إلى الحديقة واعتصموا بها . ويظهر أن المحكم لم يتمكن من الوصول اليها لأن عبدالرحمن ابن أبى بكر رماه بسهم فقتله

يتبع

طه الهاشمى

٣ـ محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

— لعلك يا صديقى مليتس تريد أنا كسجوراس (١) بهذا الاتهام . ويظهر أنك تسىء الظن بالقضاة ، فتحسبهم بلغوا من الجهالة حداً لا يعرفون معه أن تلك آراء مسطورة فى كتب أنا كسجوراس الكلازوميني ، وهى مليئة بمثلها . وتلك التعاليم هى التى يقال إن سقراط قد أوحى بها إلى الشبان ، والواقع أنهم عرفوها من المسرح الذى كثيراً ما يعرضها ، وأجر المسرح لا يزيد على دراخمة واحدة ، ففى مقدور الناس جميعاً أن يشهدوها بهذا الأجر الزهيد ، ثم يهزأون من سقراط كلما نسب إلى نفسه تلك الأعاجيب ، ولكن حدثنى يامليتس ، أفتظن حقاً أنى لا أومن بآلـه ما ؟

— أقسم بزفس أنك لا تؤمن بكائن من كان

— أنت كاذب يا مليتس ، ولا تستطيع أنت نفسك أن تصدق هذا القول ، ولست أشك أيها الأثينيون فى أن مليتس هذا مستهتر وقح ، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والغرور ، ألم يبتكر هذه الألعوبة ابتكاراً ليقدمنى بها الى المحاكمة ؟ كأنما قال لنفسه : سأرى هل يستطيع هذا الحكيم سقراط أن يكشف عن هذا التناقض المحبوك ، أم أنى خادعه كما سأخدع بقية الناس ؟ فهو كما أرى يناقض نفسه بنفسه فى الدعوى فكأنه يقول : قد أجرم سقراط لأنه كافر بالآلهة ، ولأنه مؤمن بهم ، وتلك مهزلة ولا ريب

أيها الأثينيون ! إنه متناقض لاتستقيم روايته ، وأحب أن نتعاون جميعاً على تحقيقها ، وعليك يا مليتس أن تجيب — وأعيد الرجاء ألا تقاطعونى إذا تكلمت بأسلوبى المعهود —

يا مليتس ! هل جاز لانسان مرة أن يعتقد بوجود ما يتصل بالبشر من أشياء ، دون أن يعتقد بوجود البشر أنفسهم ؟ إنى أحب منه — أيها الأثينيون — أن يجيب ، وألا يعمد دائماً الى المقاطعة . هل اعتقد انسان مرة وجود صفات الجياد دون الجياد نفسها ؟ أو وجود نغمات القيثارة دون العازف عليها ؟ إن كنت تأبى أن تجيب بنفسك يا صديقى ، فسأجيب لك وللمحكمة

كلا ! لم يفعل ذلك إنسان . والآن ، هل لك أن تجيب عن هذا السؤال الثانى : أيستطيع انسان أن يؤمن برسَول روحى آلـهى ، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة ؟

— إنه لايستطيع

— يسرنى أن أحصل منك بعون المحكمة على هذا الجواب ، ولكنك قد أقسمت فى دعواك أننى أثق وأعتقد فى رسل روحية آلـهية ، وسواء أكانت تلك الرسل قديمة أم محدثة ، فأنا على أية حال أومن بها كما قلت وأقسمت فى صحيفة الدعوى . ولكن إذا كنت أعتقد بموجودات آلـهية ، أفلا يلزم أن أعتقد بالأرواح وأشباه الآلهة التى بعثتها ؟ أليس هذا حقاً ؟ مالى أراك صامتاً ؟ إن الصمت معناه الرضى . فما هذه الأرواح وأشباه الآلهة ؟ إنها إما أن تكون آلهة ، أو أبناء آلهة ، أليس كذلك ؟

— نعم هو كذلك

— وإذن فهذا موضع التناقض المحبوك الذى أشرت اليه ، فأشباه الآلهة أو الأرواح هى آلهة ، وقد زعمت عنى أول الأمر أنى كافر بالآلهة ، ثم ها أنت ذا تضيف أنى مؤمن بها ، لأنى مؤمن بأشباهها . ولايضيرنا أن تكون هذه الأشباه أبناء للآلهة غير شرعيين ، فسواء أعقبتها الآلهة من الشياطين أو من أمهات آخريات كما يُظن ، فوجودها يتضمن بالضرورة — كما ترون جميعاً — وجود آبائها ، وإلا كنت كمن يثبت وجود البغال وينكر وجود الجياد والحمير . لايمكن أن يكون هذا الهراء يامليتس إلا تدبيراً منك لتبلونى به ، ولقد سقته فى دعواك لأنك لم تجد حقاً تتهمنى به . ولكن لن يجوز على من يملك ذرة من فهم ، قولك هذا بأن رجلاً يعتقد فى أشياء آلـهية ، هى فوق مستوى البشر ، ولايؤمن فى الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشباه آلهة وأبطالاً

(١) هذه العقيدة التى قالها مليتس عن سقراط هى فى الحقيقة رأى فى فلسفة أنا كسجوراس وكان قد اتهم به هذا بالالحاد لولا أنه فر من أثينا

حسبي ما قلته رداً لدعوى مليتس ، فلا حاجة بي الى دفاع قوى بعد هذا ، ولكني كما ذكرت من قبل لابد أن يكون لى أعداء كثيرون ، وسيكون ذلك دافعى الى الموت لو قضى على به ، لست أشك فى هذا ، فليس الأمر قاصراً على مليتس وأنيتس ، ولكنه الحقد الذى يأكل القلوب ، ويغرى الناس بتشويه السمعة ، فكثيراً ما أدى ذلك برجال الى الموت ، وكثيراً ما سيقضى بالموت على رجال ، فلست بحمد الله آخر هؤلاء

سيقول أحدكم : ألا تخجل يا سقراط من حياة يغلب أن تؤدى بك الى موت مباغت ، وعلى ذلك أجيب فى رفق : أنت مخطىء ياهذا ، فان كان الرجل خيّراً فى أى ناحية منه ، فلا ينبغى أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولايجوز أن يهتم إلا بأمر واحد ، وذلك أن يرى هل هو فيما يعمل مخطىء أم مصيب ، وهل يقدم فى حياته خيراً أم شراً . أترى إذن أن الأبطال الذين سقطوا فى طروادة لم يحسنوا صنعاً ؟ فذلك ابن ثيتس الذى استصغر الخطر وازدراه حينما قرنه بما يثلم الشرف . ولما قالت له أمه الآلـهة ، وهو يتحفز لقتل هكتور بأنه لو قتله انتقاماً لصاحبه باتروكلس ، فسيدركه هو نفسه الموت . ثم قالت : « إن القدر يترصدك بعد هكتور » فلما سمع هذا ، احتقر الخطر والموت احتقاراً ، ولم يخشهما كما خشى أن يحيا حياة يدنسها العار دون أن ينتقم لصديقه ، فأجاب : « ذرينى أمت بعد موته ، فأنتقم من عدوى ، فذلك خير من الحياة فوق هذه السفن ، فأظل عاراً على جبين الدهر تنوء بحمله الأرض » هل فكر أخيل فى الموت أو الخطر ؟ فمهما يكن موقف الرجل ، سواء اختار لنفسه ذلك الموضع أم أقامه فيه قائده ، فلا بد أن يلزمه ساعة الخطر ، ولايجوز أن يفكر فى الموت أو فى أى شىء آخر غير دنس العار . إن هذا أيها الأثينيون لقول حق

بنى أثينا ! كم كان سلوكى عجيباً ، لو أنني عصيت الله فيما يأمرنى به — كما أعتقد — بأن أؤدى رسالة الفلسفة بدراسة نفسى ودراسة الناس ، وفررت مما كلفني به خشية الموت أو ماشئت من هول ، وأنا الذى حين أمرنى القواد الذين اخترتموهم للقيادة فى پوتيديا ، وأمفيپوليس ودليوم ، لزمت موضعى ، كأى رجل آخر ، أواجه الموت . ما كان أعجب ذلك ، وما كان أحقنى بأن أساق الى المحكمة بتهمة الكفر بالآلهة ، وكم كنت عندئذ أكون بعيداً عن الحكمة ، مدعياً إياها خاطئاً ، لو أننى عصيت الراعية خوفا من الموت ؟ فليست خشية الموت من الحكمة الصحيحة فى شىء ، بل هى فى الواقع ادعاء بها ، لأنه تظاهر بمعرفة ما تستحيل معرفته ، فما يدريك ألا يكون الموت خيراً عظيماً ، ذلك الذى يلقاه الناس بالجزع كأنه أعظم الشرور ؟ أليس ذلك توهما بالعلم ، وهو ضرب من الجهل الشائن ؟ وهنا أرانى أسمى مقاماً من مستوى البشر ، وربما ظننت أنى فى هذا الأمر أحكم الناس جميعاً — فما دمت لا أعلم عن هذه الحياة إلا قليلاً ، فلا أفرض فى نفسى العلم ، وإنما أعلم علم اليقين أن من ظلم من هو أرفع منه أو عصاه ، سواء أكان ذلك انساناً أم الـها ، فقد ارتكب إثماً وعاراً ، ويستحيل على أن أتحاشى ما يجوز أن يكون فيـه الخير وأخشاه ، لأقدم على شر مؤكد ؛ ولهذا فلو أنكم أطلقتم الآن سراحى ، ورفضتم نصح أنيتس ، الذى قال بوجوب إعدامى بعد إذ وجه الىّ الاتهام ، لأنى لو أفلت فسيصيب الفساد والدمار أبناءكم باستماعهم لما أقول . لو قلتم لى يا سقراط ، إننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس ، على شرط واحد ، وذلك أن تقف البحث والتفكير فلا تعود اليهما مرة أخرى ، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت ، إن كان هذا شرط إخلاء سبيلى أجبت بما يأتى : أيها الأثينيون ! أنا أحبكم وأمجدكم ، ولكنى لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها مادمت حياً قوياً ، أسائل بطريقتى أياً صادفت بأسلوبى ، وأهيب به قائلاً : مالى أراك يا صاح تعنى ما وسعتك العناية بجمع المال ، وصيانة الشرف ، وذيوع الصوت ، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها ، فهى لاتصادف من عنايتك قليلاً ولاتزن عندك فتيلاً ، وأنت ابن أثينا ، مدينة العظمة والقوة والحكمة ؟ ألا يخجلك ذلك ؟ فان أجاب محدثى قائلاً : بلى ، ولكني معنى بها ، فلن أخلى سبيله ليمضى من فوره ، بل أسائله وأناقشه وأعيد معه النقاش ، فان رأيته خلواً من الفضيلة ، وأنه يقف منها عند حد القول والادعاء ، أخذت فى تأنيبه ، لأنه يحقر ما هو جليل ، ويسمو بما هو دنىء وضيع ؛ سأقول ذلك لكل من أصادفه ،

سواء أكان شاباً أم شيخاً ، غريباً أم من أبناء الوطن ، لكني سأخص بعنايتي بني وطني ، لأنهم إخواني ، تلك كلمة الله فاعلموها . ولا أحسب الدولة قد ظفرت من الخير بأكثر مما قمت به ابتغاء مرضاة الله ، وما فعلت إلا أن أهبت بكم جميعاً ، شيباً وشباناً ، أن انصرفوا الى أنفسكم وما تملكون ، وبادروا أولاً بتهذيب نفوسكم تهذيباً كاملاً ، وهأنذا أعلنكم أن الفضيلة لاتشترى بالمال ، ولكنها هى المعين الذى يتدفق منه المال ويفيض بالخير جميعاً ، سواء فى ذلك خير الفرد وخير المجموع . ذلك مذهبي ، فان كان هذا مفسداً للشبان ، فاللهم إنى مودٍ بالشباب الى الدمار ! أما إن زعم أحدكم أن ليس مذهبي هو ذاك ، فهو إنما يزعم باطلاً . أيها الأثينيون ! سواء لدى أصدعتم بما يأمركم به أنيتس أم فعلتم بغير ما يشير ، وسواء أأصبت عندكم البراءة أم لم أصبها ، فاعلموا أنى لن أبدل من أمرى شيئاً ، ولو قضيتم علىَّ بالموت مراراً

أيها الأثينيون ! لا تقاطعوني واصغوا إلى قولى ، فقد وعدتمونى أن تسمعوا الحديث حتى ختامه ، وإن لكم فيه لخيراً . أحب أن أفيض لكم بما عندى ، فان بعثكم على البكاء فأرجو ألا تفعلوا . أريد أن أصارحكم أن لو قضيتم علىَّ بالموت فسيصيبكم من الضر أكثر مما يصيبني . إن مليتس وأنيتس لن يؤذياني ، لأنهما لايستطيعان ، فليس من طبائع الأشياء أن يؤذى فاسد من هو أصلح منه ، نعم ، ربما استطاع له موتاً أو نفياً أو تجريداً من حقوقه المدنية ، وقد يبدو له كما يبدو للناس جميعاً ، أنه يكون بذلك قد أنزل به أفدح البلاء ، ولكني لا أرى ذلك الرأى ، فأهول به مصاباً هذا الشر الذى يقدم عليه أنيتس — بأن يقضى على حياة انسان بغير حق . لست أكلمكم الآن — أيها الأثينيون — من أجل نفسى كما قد تظنون ، ولكن من أجلكم ، حتى لاتسيئوا إلى الله ، أو تكفروا بنعمته بحكمكم علىَّ ، فليس يسيراً أن تجدوا لى ضريباً إذا قضيتم علىَّ بالموت ، وإن جاز أن أسوق اليكم هذا التشبيه المضحك ؛ لقلت إنى ضرب من الذباب الخبيث ، أنزله الله على الأمة ، التى هى بمثابة جواد لنبيل عظيم ، ثقيل الحركة لضخامته ، ولا بد له فى حياته من حافز . أنا تلك الذبابة الخبيثة التى أرسلها الله الى الامة ، فلا شاغل لى متى كنت وأنى كنت ، إلا أن أثير نفوسكم بالاقناع والتأنيب ، ولما كان من العسير أن تجدوا لى ضريباً فنصيحتى لكم أن تدخروا حياتى . نعم قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من نعاسكم العميق ، ولكم أن تأملوا ، إذا ما صفعتمونى صفعة الموت ، كما ينصح أنيتس ، — وما أهون ذلك عليكم — أن يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم ، مالم يبعث لكم الله ذبابة أخرى ، إشفاقاً عليكم . أما إننى جئتكم من عند الله فهذى آيته : لو كنت نكرة من الناس لما رضيت مطمئناً ، باهمال شئون عيشى اهمالاً طوال تلك السنين ، لأخصص نفسى لكم ، فقد جئتكم واحداً فواحداً ، شأن الوالد أو الأخ الأكبر ، فأحملكم على الفضيلة حملاً ، وليس ذلك ما عهدناه فى طبيعة البشر . ولو كنت قد أفدت من ذلك أجراً أو جزاء لكان لذلك مدلول آخر ، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدعى أنى أخذت أجراً أوسعيت إليه ؟ إنهم لن يفعلوا ، لأنهم لن يجدوا لذلك دليلاً . أما أنا فعندى ما يؤيد صحة ما أقول . وحسبى بالفقر دليلاً

يتبع — زكى نجيب محمود

٣ - مصطفى كمال *

سيرة حياته

للكاتب الإنجليزي أرمسترونج

تلخيص وتعليق حنفي غالي

وعاش مصطفى كمال مع أمه في سالونيك بعد وفاة زوجها الذي كان يبغضه وينفر منه ، وهناك حاول أن ينشىء مع زملائه من صغار الضباط فرعاً لجمعية الوطن ، فأخفق لأنهم كانوا في ريبة من أمره ، فلم يؤيدوه ولم يعارضوه ، كأنما كانوا يريدون أن يقفوا على حقيقته ويتبينوا أمره قبل أن يتصلوا به ويتعاونوا معه في أمثال هذه المغامرات . وأخيراً أسر إليه أحدهم أن بسالونيك جمعية ثورية كبيرة تدعى جمعية الاتحاد والترقي ، يجتمع أعضاؤها في منازل بعض اليهود من رعايا إيطاليا ، فيستطيعون أن يدبروا الخطط ، ويتشاوروا في أمرهم بمأمن من بطش الحكومة ، ومنجاة من عيون الخليفة ، وبعد أن اختبرت الجمعية إخلاص بطلنا ، وأنست منه نفساً ثائرة وقلباً قلقاً ، دعته إلى الانضمام اليها فتم لها ما تريد . وانخرط مصطفى في سلك أعضائها ، فألفى نفسه في جو لا يلائمه ولا يتفق وميوله ، إذ رأى من حوله أشخاصاً يتحدثون في أمور لا تعنيه ولا تتصل بتركيا التي يحبها ويفنى في سبيلها ، فماذا يهمه من متاعب اليهود وما يلاقونه من اضطهاد في روسيا ، فهو تركي قبل كل شيء ، وهو معتز بتركيته تياه بها ، ولا غرض له سوى إنقاذ تركيا من استبداد الخليفة ومطامع الدول الأجنبية ، وفضلا عن ذلك فهو ما زال في الجمعية « أخا » صغيراً ، عليه أن يتلقى الاوامر بالطاعة والأذعان ، وعليه أن ينفذها بأمانة ونشاط . وهذا ما لا يرضى بطلنا الذي خلق ليأمر ويسود لا ليأتمر ويخضع ، فبرم بالجمعية وسخط عليها ، وأخذ ينقدها نقداً حاداً قارصاً غير متلطف فيه ولا متهاون قائلا : إنه يسمع مناقشات بيزنطية لا يعززها عمل حاسم ، وهو يريد خطة محكمة دقيقة ، ينفذها بكل ما وسعه من جهد ، وكل ما في نفسه من حرارة الأيمان والوطنية ، ولم يكن يرعى للرؤساء حرمة أو مقاماً ، فمن هم أولئك الذين يستأثرون بالنفوذ ويستبدون بالأمر دونه ؟ أأنور ذلك المجازف المتهور ، أم جمال ذلك المظلم العقل المضطرب الذهن ، أم داود ذلك اليهودي الدنيء الذي انقلب مسلماً ، أم نيازي ذلك الألباني فاقد التوازن ، أم طلعت ذلك الموظف المصلحي والدب البطيء ، فهكذا كان يراهم بطلنا ، ويرى نفسه فوقهم أجمعين ، وهكذا نرى العظماء شديدي الأنانية عظام الثقة بأنفسهم ، وهي صفة لابد منها لمن يتطلعون الى مسابح الأفلاك . أما من ضعفت ثقته بنفسه ، وتنحى عن نفسه لغيره ، فليقنع إذن بمدارج الأسماك . وكان يخاطبهم مخاطبة الأستاذ لتلميذه ، وحدث ذات مرة أن كانوا يتحدثون عن جمال ويتمدحون وطنيته فقاطعهم مصطفى كمال متهكما بهم ، وأخذ يلقي عليهم درساً عن العظمة الحقيقية . فلما التقى بجمال في اليوم التالي صارحه برأيه فيه قائلاً له إنه طالب شهرة ، وألقى عليه ما ألقى على زملائه بالأمس

وقد كان زملاؤه الضباط يبغضونه لاعتداده بنفسه واستصغاره لشأنهم وسخره منهم ، كما كان اليهود لايثقون به ، فلم يرتق الى مراكز الماسونية العليا ، وظل بعيداً عن مركز القيادة أو مبعداً عنه .

ولم يكن في البيت أيسر نفساً ولا ألين جانباً ، ولم يكن يسمح لأحد غير أمه أن ينتقده ، وكان مع ذلك يأبى عليها التدخل في عمله أو المساس بكبريائه . وقد اجتمع في يوم من الأيام ببعض زملائه بالمنزل ، فأخذ الخدم يتسمعون حديثهم من وراء الأبواب وأخبروا أمه ، فعارضت فكرته ، فحاول أن يقنعها بصوابها ، فركبت رأسها وأصرت على رأيها ، وما كان الاثنان ليتفقا ، فقد كانت هي امرأة صادقة الايمان وثيقة الاخلاص لقديمها ، بينما ابنها لم يكن يؤمن بشيء أو يجل شيئاً على الاطلاق ؛ وأخيراً سايرت الأم الرؤوم ولدها العزيز في طريقه برغم اعتقادها في خطئه ، خشية أن يهجر المنزل فيشق عليها فراقه ، ولكنها ظلت تحذره سوء المنقلب وظلام المصير ، قائلة : إن من الحمق التآمر بالخليفة والدين

وقد سئم بطلنا الحياة المنزلية بما يثقلها من ثرثرة الأقارب ، وتجسس النساء ، وفضول الخدم ، إذ لم يكن أبغض اليه من الحد من حريته ، فهو يريد أن يكون سيد نفسه مهما كلفه ذلك من مشقة وثمن ، فهجر المنزل ، ولكن ظل حبل الود متصلاً بينه وبين أمه ، فكان يزورها ويصغي إليها

* انظر عددي ٦١ و٦٥ من الرسالة

وكان ينفق بياض النهار مكباً على عمله ، كما كان ينفق معظم لياليه فى المقاهى حيث يجتمع بزملائه أحياناً أو يذهبون الى مكان خفى بعيد ، حيث يشربون ويدخنون ويدبرون الخطط للثورة المقبلة

على أن بطلنا لم يكن ليرضى أن يكون جندياً خاملاً مغموراً ، بل يريد أن يكون قائداً له شرف النصر ونخار الغلبة والقهر ، ولم يكن يحب الرؤساء أن يقربوه منهم ، فقل على توالى الأيام اتصاله بالجمعية واشتراكه فى أعمالها ، وأصبح أكثر ميلاً للعزلة والصمت

وبينما كان بطلنا فى بعده وعزلته إذا بالثورة تشب من غير إنذار ، فسار نيازى على رأس فئة قليلة من الثائرين الى جبال مقدونيا الجنوبية متحديا الحكومة ، وحذا حذوه أنور ، وأصدر فى الحال منشوراً يعلن فيه الثورة . أما بطلنا فظل فى سكونه وعزلته ، وأبى أن يشاركهم ، إذ لم يكن من طبعه المغامرة فى مشروع إلا إذا كان متين الأساس مقدراً له بعض النجاح ؛ ولكن هذه المغامرة الجنونية نجحت بأعجوبة ، وساعد على ذلك سخط رجال الجيش على الحكومة لتأخر مرتباتهم ، فأبى بعضهم أن يحارب بنى وطنهم ، وانضم آخرون الى الثوار فسقطت حكومة الظلم كما تسقط أوراق الشجر أمام الريح الضعيفة ، وقبل عبد الحميد الحكم الدستورى قائلا : إنه كان يعمل لهذه الغاية من عهد بعيد ! ! وألقى باللائمة على مستشاريه ، وألقى عليهم تبعة الماضى الفاسد . وألغى الجاسوسية ، ورحب بالثوار ، وعاد نيازى وأنور ، وقد أسكرتهم نشوة الانتصار ، وتوجت رؤوسهما أكاليل الغار ، فاستقبلهم الشعب بحماسة فائقة تجل عن الوصف ، وقد لقيهما مصطفى برفقة بعض زملائه ، ووقف الجميع فى شرفة أحد فنادق سالونيك ، وأعلن أنور منها الدستور على الشعب الذى يرمقه بعين الاعجاب والاجلال ، ووقف من خلفه مصطفى وإن ما به من الهم والحسد ليكاد يقطع قلبه ويذهب بنفسه

وقد عاد الى الآستانة جميع من نفاهم عبد الحميد ، وأخذوا يتنازعون السلطة والحكم ، وأرسل أنور ملحقاً حربياً فى سفارة برلين ، أما نيازى فعاد الى ألبانيا حيث اغتيل ، أما مصطفى كمال فأرسل على رأس بعثة ليتفقد حال حامية طرابلس ، ويكتب عنها تقريراً لحكومة الآستانة

وقد خشيت دول أوربا أن يستعيد الأتراك قوتهم ، فانتهزت فرصة هذه الفتنة الداخلية لتصفى مع الأتراك حسابها ، فاستولت النمسا على البوسنة والهرسك ، واحتلت اليونان كريد ، وأعلنت بلغاريا استقلالها تظاهرها الروسيا

أما فى داخل الامبراطورية فقد شبت الثورة ببلاد العرب وألبانيا ، واحتدم النزاع بين المسلمين والمسيحيين واشرأبت الرجعية بعنقها تريد استعادة سلطانها البائد ، فلجأت الى الجيش والشعب لأثارته على أولئك اليهود والملاحدة الذين يريدون هدم الدين ، وتقويض خلافة المسلمين ، ونجحت هذه الدعاية الخداعة البراقة ، وثار الجنود فى الآستانة ، وقتلوا ضباطهم أو سجنوهم ، وأعلنوا إخلاصهم للدين وولاءهم لأمير المؤمنين ، واستولوا على الآستانة وطردوا منها أعضاء الجمعية ، فلجأوا الى محمود شوكت قائد الجيش بمقدونيا فتردد بادىء الأمر لأنه كان من المقربين الى عبد الحميد ، ولكنهم وفقوا أخيراً الى إغرائه بمساعدتهم والعمل معهم فسير أنور — وكان قد عاد مسرعاً من برلين — على رأس فرقة من الفرسان كما ناط بمصطفى — وكان قد عاد من طرابلس — رئاسة أركان الحرب ، وتقدم الجميع نحو الآستانة فقضوا على الثورة الداخلية ، وقبضوا على عبد الحميد ووضعوه فى « فيلا » صغيرة بسالونيك تحت رقابة الضابط فتحى المقدونى وأعادوا الجمعية الى الحكم

وكان أنور إبان هذه الحوادث ، الشخصية الفذة ، والبطل البارز، ترمقه العيون بالأعجاب والحب ، لأنه كان جندياً مقداماً جريئاً ، كثير الاتجاه الى الجمهورية ، فواتته الشهرة وسعت اليه ، بينما ذهب مصطفى كمال فى غمار النسيان والاهمال ، إذ لم يحظ باعجاب الشعب لتردده ، ولم يكتسب رضاء الرؤساء لصلفه ، حتى قالوا عنه « إنه ذو كفاية ممتازة ، ولكنه جامد النسيم ، كثير التمرد على كل أمر ، قارص النقد لكل شخص ، شديد الغرور ، لايميل اليه أحد ، وهو كثير الاعتداد برأيه ، لايشرك معه أحداً فى الأمر »

وأبعدوه عن الحكم وأبقوه فى منصبه ، فأكب على واجبه يؤديه بهمة ونشاط ، وأخذ يدرس تاريخ نابليون وفون ملتكة . ثم رقى فى سنة ١٩١١ الى رياسة أركان حرب القسم الثالث من الجيش بمقدونيا

وقد أرسل فى بعثة حربية الى باريس تحت اشراف الجنرال على رضا ، وأعجب رئيسه به وأثنى عليه . ولما عاد نيط به الأشراف

على مدرسة الضباط بسالونيك ، وبرغم كون بطلنا جنديا بفطرته فقد كان يتطلع بنظره الى السياسة دائماً ، ويحاول أن يجرب طالعه فيها ، فلم يرضه هذا المنصب ، وأخذ ينقد زعماء جمعية الاتحاد والترقى نقداً لاذعاً فى غير تحفظ ولا خشية قائلا إنهم ليسوا جديرين بالحكم ، وإن الدول أخذ طمعها يشتد ويدها تطول عن ذى قبل ، ولا سيما المانيا التى قبضت على مرافق البلاد الحيوية وسيطرت على سكة حديد بغداد . أما فى الداخل فلا يزال السخط عاما والفقر والبؤس مخيمين ، ويجب القيام بعمل حاسم لاصلاح الحال . وأخذ الضباط يصغون اليه ويستمعون له ويلتفون حوله فأرضى هذا كبرياءه ، وأصبح يشعر أنه ذو مكانة وخطر ، وأنه يقترب رويداً رويداً من قيادة حركة ذات شأن ، ونمى هذا الى سمع محمود شوكت ، وكان يعرف بطلنا ويقدر خطره ، لا سيما فى البلقان مصدر كل فتنة ومهد كل حركة ، فنقله الى منصب آخر ، وكان شوكت فى تصرفه هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فقد سهل المنصب الجديد لبطلنا بلوغ دعوته الى أنصار أكثر من ذى قبل ، ولم يخفه تهديد شوكت ووعيده ، وظل فى مهاجمته لرجال الجمعية وحملته عليهم غير خائف ولا متحفظ ، كما أخذ يستحث أنصاره على طرد الأجانب لتصبح « تركيا للأتراك »

ولقد عظم خطر بطلنا حتى كتب أعوان الحكومة اليها ينذرونها ويحذرونها منه ويستحثونها على تدارك الأمر ، وطلبت الجمعية معاقبته ، فبعث اليه شوكت يتهمه بأنه يحرض الجنود على الثورة ، فرد عليه رداً لم يكف فى نظر شوكت لدحض التهمة ونفيها عنه ، وكذلك لم يجد شوكت أدلة قوية تثبت إدانته فنقله الى المكتب الحربى فى الأستانة ليبعده عن البلقان مستودع البارود ومنبع الخطر وليستطيع مراقبة حركاته وتتبع خطواته ، فلم يرده هذا عن خطته ، وأخذ يتقرب من بعض سياسيي الجمعية الذين كانوا يبغضون الألمان ويمقتون سفيرهم صديق أنور الذى أخذ يعمل بنشاط وكياسة لجعل تركيا آلة فى يد المانيا ، وأخذوا هم يشجعونه بعض الشيء ، إذ رأوا إمكان استخدامه ضد أنور عند الحاجة ، ولكنهم مع ذلك لم يستسيغوه ولم يقربوه كل القرب لدهائه بنفسه ، فحز ذلك فى نفسه وآلمه أشد الألم

وبينا هو يجاهد خصومه ويجاهدونه إذا بايطاليا تنزل جنودها فى طرابلس وتحتل السواحل ؟

(يتبع) منفى غالى

الشمس فى الطلوع

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

الشمس قد طلعت بوجه أروع ... فوقفت مبهوتاً لحسن المطلع
وجه كما تهوى الطبيعة سافر ... ما إن عليه سوى السنى من برقع
فى موكب فخم يزيد جلاله ... لمع الأشعة فى الفضاء الأوسع
هى فى علاية أوجها وشعاعها ... فى كل ما تبدو له من موقع
بيضاء لولا ما بها من وخزة ... لذاعة من حسنها لم أشبع
إنى أدين بحسنها لا كالذى ... أملى عليه جهله ألا يعى
مرت تعاورها الدهور وحسنها ... أبداً جديد بالشباب الممتع

***

أنظر اليها فهى تحكى غادة ... ترنو اليك من المحل الأرفع
ولقد بدت فى خيلع (١) من ضوئها ... أحسن بها لما بدت فى الخيلع
تجرى بلا تعب إلى الغايات فى ... صمت على لقم (٢) الطريق المهيع
لا تحرم الأرض الضياء فإن جلت ... عن موضع منها بدت فى موضع
تمتد من شغف لها الأنظار من ... حنبرى تكل من العياء وظلع

***

ظهرت على متن السحاب كأنها ... نار تشب على كثيب أسفع
ولقد علتها وهى تبرح أفقها ... وطفاء حانية حنو المرضع
ودنا يطوف بها الغمام كمصطل ... بالنار يذكى جمرها أو مترع
قد كان منها القرص أحمر فاتحاً ... حتى اختفى فى العارض المتجمع
أما الغيوم فتلك بعد تراكم ... أخذته بين صدورها والأذرع
صور محببة وليس بمنكر ... حوج الحياة إلى الجمال الأروع
الشمس فى طول النهار تجيئى ... والشمس حيث ذهبت داهية معى
وكأنما بينى وبين شعاعها ... نسب قديم ما لأوله أعى
ماذر قرن الشمس إلا اهتز من ... فرح فؤاد تحتويه أضلعى

***

---

(١) ثوب بلا أكمام (٢) معظم الطريق

الصبح لما ابيضَّ من أنوارها … أخْفَى على ضوء النجوم اللُمَّع

والصبح بعد الليل يحكى ضوؤه … أملاً لذيذاً بعد يأسٍ مُوجِع

ولقد تيقظت العيونُ من الكَرى … ولفظنَ أحلامَ النفوس الهُجَّع

قد كان ليلاً قد تضاعف دَجْوُه … والليلُ يُذكى الحزنَ فى المتفجِّع

ثم انجلى متـأخراً عما له … قد كان فى طغيانه من موقع

وبدت عليه ذِلَّةٌ فكأنما … صفعته كفُّ الصبح فوق الأَخْدع

لا تحزنى مما لقيتِ من الأذى … ما أنتِ منى يا نجوم بِأَضْيع

***

أمّا الحياة فانها لجميـــــلة … بك يا «ذُكاء» وإن أقَضَّت مضجعى

يا حبذا لو أننى من بعد ما … أرْدَى يكون اليك يوماً مَرْجعى

انى لأَرجو أن تُطِلِّى من علٍ … حتى تَرَىْ عند النهاية مصرعى

لا ضَيْرَ إن أبكَى الدجى عينى فقد … مسح ابتسامُك فى النهاية أدمعى

أقلعتُ عن حبِّ الحسان جميعها … الاّ هواكِ فلستُ عنه بِمُقْلِعِ

بالشمس فى الأفق البعيد تغزّلى … لا بالعقيق ورامتين ولَعْلَع

جميل صدقى الزهاوى

عمرو بن العاص

والزعيم المصرى

للشاعر الاسكندرى عبد اللطيف النشار

حدثونا أن عَمْرًا … حينما أخضع مصرا

عاهد الأقباط عهداً … حفظوه فاستمرا

وكذا المصرىُّ إن قا … ل وإن عاهد بَرَّا

غير من شذ، ومن شذ … فلا ينقض أمرا

شذ عن أقباط مصرٍ … رجل ناوأ عمـــرا

ألبَ الروم عليه … وأثار الحرب غدرا

وقضى الله لعمرو … فأباد الجيش ذعرا

فلول وقتـــلى … وفلول الجيش أسرى

وأتى الخائن فى الأسـ … ـرى وقد أحرج صدرا

أى عذر ينفعَ اليو … م إذا ما رام عذرا ؟

ورأى عمرو حليفـاً … خانه بغيـاً وكفرا

واستشار الصحب فيه … فقضوا بالقتل صبرا

قال أدهى الناس عمرو … قـولة ترفع عمـرا :

بل ستحيا فابغ ما شـ … ـئت بنا سراً وجهرا

وبأمثال الألى جئـ … ـت بهم فائت بأسرى

ومضى الخائن فى ذل … وقد شاهد كبرا

ليس كل البطش بطشاً … ليس كل الصبر صبرا

حسب قلبى

بقـــلم فريد عين شوكه

هاتِ ماشئتَ من جفاكَ وهجرِكْ … إن فى القلب ما يقوم بعذرِكْ

وأشح يا حبيبُ وجهكَ عنى … حين تهفو عيناى فيه لسحرِكْ

واغمر الكون بالحبور مع الغيْـ … ـرِ وعبِّس إذا استرحتُ لبشرِكْ

واستهنْ بالهوى وضق بى ذرعا … حين أشكو إليك، يا ضيقَ صدرِكْ!

ضاع قلبى لديك ، يا لفؤادى … منكَ لما نبذته خلف ظهرِكْ !

هانِ شأنى عليك رغم سموِّى … واعتزازى مدى الحياة بقدرِكْ

وأنا البلبل الذى بك غنَّى … والنسيم الذى يَضُوع بعطرِكْ

***

يا نجىَّ الضمير حتى لدى الرَّو … عِ أما آنَ أن أمرَّ بفكرِكْ ؟

يا كثير العقوق للعاشق المُضْـ … ـنَى أرحنى فقد عييتُ بهجرِكْ

قد ترشفتُ حلو عطفك عاماً … وتجرعتُ بعده كأس مُرِّكْ

وتربعتُ فى رضاكَ مريعاً … ثم شُرِّدتُ فى مهامه قفرِكْ

صارخاً فى الدجى البهيم وغيرى … يستشف الآمال فى ضوء فجرِكْ

وإذا أنت مستريح لغيرى … وفؤادى ما يستريح لغيرِكْ !

***

أيهذا الحبيب عذركَ أنى … لم أزل رغم ثورتى طوع أمرِكْ

أنا كالطائر السجين فمهما … هاجنى الوجد لم أزل رهن أسرِكْ

حسب قلبى فى ذلك الغضب القا … تل ما مرَّ من رضاك وبرِّكْ

نجوم السينما

للأستاذ فخري أبو السعود

عَوِّدْ فؤادَكَ مِن بَوادِرِ فتنةٍ مجلوَّةٍ في مَعرِضِ الأشباحِ
ما القلبُ إلا بَضْعَةٌ لو قُسِّمَتْ لم تَكْفِ أسرابَ المَهَا ياصاحِ
أوْ تُوفِ ما بالمشهدِ الخلَّابِ من فِتَنٍ ومن غُرَرٍ ومن أوْضاحِ
ماذا تُبين الشَّاشةُ البيضاءُ مِن سِحْرٍ وَرَاءَ سَرابِهَا اللَّمَّاحِ ؟
تَجْلُو خيالاتِ الجمالِ كأنَّها أطيافُ أحلامٍ يراها الصَّاحي
تُبْدِي لعينكَ كلَّ أغْيَدَ شادِنٍ سابٍ وكلَّ مُغرِّدٍ صَدَّاحِ
جَمَعَتْ مَلاحاتِ الشعوبِ جميعَها كالطيرِ مِن مُتفرِّقِ الأدْواحِ
مِنْ بَضَّةٍ تُزْرِي بكلِّ خَميصةٍ وخميصةٍ تُزرِي بكلِّ رَداحِ
وغضيضةٍ تُصْبِي بساجي طرفِها ولَبيقةٍ تُغرِي بثغرٍ أقاحِ
وقَسيمةٍ تَسْبِي بِوَحْفٍ فاحمٍ داجٍ وفجرٍ دونه مِنْصَاحِ
وَوَضيئةٍ شقراءَ تُقنِعُ كلَّ ذي بصرٍ بأنَّ الحُسْنَ شَعْرٌ ضَاحِ
إنَّ الطبيعةَ ما تَزال سخيةً بالحُسْنِ تُولِيه عطاءَ سَماحِ
أبداً مُوَكَّلَةٌ بهاتيكَ الدُّمَى تَشتقُّها من حُسنِها الوضَّاحِ
هٰذي حَوارِيَّاتُ كلِّ مدينةٍ للناظرين تجمَّعَتْ في سَاحِ
خَلَعَتْ عليهنَّ الطبيعةُ حُسنَها بأناملٍ في البَذْلِ غيرِ شِحَاحِ
وسَخَتْ عليهن الحضارةُ بالحُلَى فَرَفَلْنَ في الوَضَّاءِ والفَيَّاحِ
دَوْماً تَبدَّلُ حالةً مِنْ حالةٍ ما بين جِدٍّ تارةً ومُزاحِ
بَيْنَا تُرَى في ثوبِ زوجٍ ناشزٍ يخشَى أذاها الناظرون وَقاحِ
حتى تكونَ غداً بتولاً أقبلَتْ في طُهْرِ أرْدانٍ وسَمْتِ صَلاحِ
وتجودُ أحياناً — وغيرُ فؤادِها عَرَفَ الأسى — بالمدمع السَّحَّاحِ
مَنْ مِثْلُ هاتيكَ النجومِ تَزَوُّدًا من بهجةِ الدنيا بكلِّ صُرَاحِ ؟
حاكَيْنَ أقمارَ السماءِ تَعَدُّدًا وَبَذَذْنَهَا في الحُسْنِ والإصْبَاحِ
وتخِذْنَ هذا العمرَ يومَ رياضةٍ ومتاعَ ألبابٍ وصِرْفَ مِرَاحِ
وتَرَكْنَ في جهلاتِها وضلالِها دُنيا تلاحٍ دائمٍ وكِفَاحِ
مِنْ لاعنٍ لِلشرِّ وهوَ مُثيرُهُ ومُدَجَّجٍ يدعو لنزعِ سِلاحِ
بَيْنَ الحياةِ وبين تمثيلٍ لها لا تثقلُ الدنيا على الأرواحِ

الى مؤتمر الفردوسي

١ – بين القاهرة وطوس

للدكتور عبد الوهاب عزام

أطوى حديث السفر بين القاهرة وبغداد ، فقد وصفت هذه المراحل من قبل فى الكلام عن سفرتى إلى مدينة العباسيين ، وليس فى هذه المراحل من جديد إلا السيارات الضخام التى تعبر بادية الشام بين المدينتين الخالدتين : دمشق وبغداد . أعدت شركات عربية ، وأخرى أوربية ، سيارات كباراً تسع واحدتها أكثر من عشرين راكباً فى مقاعد وثيرة ، تريح المسافر صاحياً وتمكنه من الأغفاء حتى يغلبه النوم . ركبنا إحدى هـذه السيارات ، ففصلنا من دمشق صبيحة الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة (الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٣٤) وبلغنا بغداد والساعة تسع من صباح الأربعاء بعد سفر ست وعشرين ساعة

فهذه بغداد العظيمة فى جمالها وكبريائها ، تزدحم فيها حادثات التاريخ أكثر من ازدحام أهلها ، وتزخر فيها ذكرى الماضى أعظم من زخور دجلتها . ولله بغداد ، ما يستقر بها فكر زائرها حتى يحلق فى أرجاء العصور ، وثنايا التاريخ أمداً بعيداً . فما يفتأ البصر يترامى بين الرصافة والكرخ ، يبتغى أن يقع على موكب من مواكب الخلفاء ، أو مجلس من مجالس العلماء ، أو حفل

طفتُ بالحمراء . .

للأديب حسين شوقي

طفتُ بالحمراء والقلب كليمْ أسأل الحمراء عن ساداتها
قلتُ : ياحمراء لِمْ زُهر النجوم لا تضيءُ اليوم فى هالاتها ؟

* * *

قالت الحمراء : دع هذى الذكرْ لا تذكِّرنى بما مرَّ وفاتْ
أفَلَ الأقمارُ عنى واندثرْ زمنَ العز ودهرُ المكرمات !

للأدباء والشعراء . ففى كل نظرة ذكرى خليفة ، وفى كل فكرة حديث فيلسوف أو عالم أو شاعر

ثم يقع الفكر وقوع الطائر بعد طول التدويم ، فيستريح من بغداد الحاضرة إلى أمة قد أخذت للمجد أهبتها ، وأعدت للعظائم عدتها ، وعرفت بين الأمم غايتها ، وشقت بين الخطوب سبيلها . فسارت فى مواكب من الهمة القعساء ، والعزة الشماء . تحدوها عزة إسلامية ، وأنفة عربية . قد آلت لتسيرن سيرتها حتى تبلغ غايتها . وسير الله يمينها ، ويعنو الزمان لأمرها

وما جهد هذا الدهر إلا هزيمة إذا نازلت عزم الكرام كتائبه

ذلكم ماض مجيد يمد حاضراً مجيداً ، ذلكم تاريخ يتدفق من قمم المجد الشاهقة فى مجرى العزمات الماضية ، إلى المستقبل الوضاء . ومن ذا يصد السيل إذا هدر ، أو من ذا يرد على الله القدر ؟ بل من يسلسل البحر بأمواجه ، ويرد الحر الأبى عن منهاجه ؟ سلام يا دار السلام ! رعاك الله فى كل خطوة ، وخار لك فى كل عزمة

دار السلام لا عداك المجد وارفة ظلاله تمتد
ولا حدا نجمك إلا السعد موصولة الآجال بالآجال
لابسة مجدد القرون

ان حديث بغداد لا ينفد ، وحبها فى القلوب لا يحد . وإنك أيها القلم لأعجز من أن تخط الزمان الماجد ، والتاريخ الخالد ، والخطوب والعبر ، والقضاء والقدر ، فى هذه الأسطر . فحدث عن الرحلة إلى طوس ؛ وحسبك أن تحمل « الرسالة » هذه الرسالة

لبثنا ببغداد من صبح الأربعاء إلى عشية السبت ، فى حفاوة اخوان كرام ، وسرور بدار السلام . ويوم السبت ركبنا نحن والوفود التى قدمت بغداد فى طريقها إلى طهران ، قطار الليل نؤم خانقين . والمسافة بين خانقين وبغداد زهاء مائة ميل ، ولكن قطار خانقين المتمهل يقطعها فى عشر ساعات ، فيمكن المسافر أن ينام مل‌ء جفونه حتى يصبح . برحنا بغداد والساعة ست مساء ، وودعنا على المحطة القائم بأعمال المفوضية المصرية حافظ بك عامر ، ووزير ايران فى بغداد . وسافر معنا الأديب الفاضل أحمد حامد الصراف مندوب العراق إلى مؤتمر الفردوسى . وكان المندوب الثانى الشاعر الكبير الزهاوى ، قد سبقنا إلى خانقين فى سيارة . وصحبنا فى القطار إلى منتصف الطريق الأخ الهمام ابراهيم الواعظ المحامى ، وكان ذاهبا إلى كركوك ، فما زلنا فى اكرامه واحتفائه حتى افترقنا ؛ أهدى إلى وإلى الأستاذ العبادى ديوان السيد محمد سعيد حبوبى النجفى ، فكان خير زاد للمسافر . ولما وقف بنا القطار على محطة باب الشيخ ببغداد اشترى لنا قلة بغدادية روينا بها فى سفرنا . وقلل بغداد نقية الطينة ، سريعة التبريد ، تمنيت أن أحمل بعضها إلى مصر فلم يتيسر لى ، وهى أمنية أعجزت الأستاذ الزيات من قبل

بلغنا خانقين والساعة أربع من الصباح ، فبقينا فى القطار حتى أسفر النهار ، فنزلنا وحملنا أمتعتنا الى حجرة من حجرات المحطة ، استبد بها الأستاذ الصراف فشاركناه فيها . ولبثنا ننتظر قدوم مندوبى الحكومة الايرانية حتى جاء القنصل الايرانى ، وآقاى روشن المهماندار ، الذى كان طليعة ركبنا فى رحلتنا كلها . وعلمنا حينئذ أن موعد السفر غد ، أول أكتوبر فتفرقنا . ذهب جماعة الى دار القنصل ، وآخرون الى منازل أخرى . ودعانا صديقنا الصراف الى دار صديقه عبد القادر صالح ، معاون جمرك خانقين ، وكلمه بالتليفون ، فأرسل سيارته ، فذهبنا الى الدار فاذا فتى نبيل من فتيان العراق ، وكم فى العراق من فتى نبيل ! فلبثنا فى ضيافته إلى صبيحة اليوم الثانى ، وسعدنا بصحبته وصحبة موظفى خانقين الكرام ، وأحمدنا هذا التأخر الذى أتاح لنا هذه السعادة

وخانقين مدينة صغيرة على حدود العراق ، وعلى طريق خراسان ، يمر بها نهر حلوان (حلوان چاى) ويسمى نهر ألوند ، وهو فرع من نهر ديالى أحد روافد دجلة . وعند المدينة قنطرة كبيرة من آثار الساسانيين . وقد وصفها ياقوت فى المعجم . وكانت المدينة فى العصور الأسلامية الأولى معروفة بالتمر والغلة ، ولا تزال كثيرة التمر . وقد مدح ابن المعتز نبيذها

وقال عتبة بن الوعل التغلبى :

ويوم بيا جسرى كيوم مقيلة
إذا ما اشتهى الغازى الشراب وهجرا
ويوم بأعلى خانقين شربته
وحلوان حلوان الجبال وتسترا

وفى خانقين حبس كسرى برويز النعمان بن المنذر حتى مات

ويوم الأثنين اجتمع المندوبون عند محطة خانقين ، وجاء آخرون من بغداد منهم أستاذى سيردنسن روس ، والشاعر الأنكليزى درنكووتر ، وعبد الكريم أفندى الحسينى ،

والدكتور نظام الدين مندوبا حيدر آباد . وتقسمنا السيارات فركبت أنا والأستاذ العبادي والأديب الصراف معاً ، وكانت صحبة الصراف فألاً سعيداً فى هذه السفرة ، فقد نعمنا بحديثه وإنشاده من الشعر العربي والفارسي وتغنيه بالأغانى المصرية . كنا كلما تمادى بنا السير وماطلنا المدى ، قلنا هات ياصراف ، فانطلق ينشد من محفوظه الذى لاينفد ، فيدوّى صوته على الجبال الشاهقة ، وفى السهول الفسيحة ، فننشط له نشاط الأبل للحداء . وسنذكر بعد طرفا من أحاديث الصراف . سرنا الى الحدود فى طريق معبّدة مقيّرة ، فوقفنا قليلاً ؛ وجاء الينا رسول ايرانى فرحب بنا وأعطانا دليلاً مكتوباً بالفارسية والفرنسية ، فيه طرف من أخبار البلاد التى نمرّ بها بين خانقين وطوس . وهناك تركت الرفيقين الكريمين ، وركبت مع صديقى السيد عبد الكريم الجسيني مندوب حيدر آباد ، إذ كان فى سيارة وحده فأردنا أن نؤنسه فى السفر .

بلغنا قصر شيرين بعد نصف ساعة ، فتوقفنا لشرب الشاى على الطريق . وقصر شيرين مدينة صغيرة على طريق خراسان ، وعلى نهر حلوان ، سميت باسم القصر الذى بناه كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) لامرأته شيرين .

ولاتزال أطلال قصور كسرى قائمة الى الشمال والشرق من المدينة . وقد وصفها ياقوت فقال : « وفيه أبنية عظيمة شاهقة يكل الطرف عن تحديدها ، ويضيق الفكر عن الأحاطة بها ؛ وهى إيوانات كثيرة متصلة ، وخلوات وخزائن ، وقصور وعقود ، ومتنزهات ومستشرفات ، وأروقة وميادين ، ومصايد وحجرات ، تدل على طول وقوة »

ولا تزال ذكرى كسرى وشيرين وعاشقها فرهاد الزائر[١] ، والمغنى بلهبذ تطيف بهذه الخرابات ، وأساطيرهم تسمع فى هذه الأرجاء .

وحلوان المدينة القديمة المذكورة فى الأخبار والأشعار قريبة من قصر شيرين . وكانت مدينة كبيرة عامرة ثم خربت منذ القرن الثامن ، فلم يبق منها إلا أطلال دارسة ، ونخلتا حلوان وقصصهما وما قيل فيهما من الأشعار من الأحاديث الدائمة

يتبع **عبد الوهاب عزام**

(١) الزائر هو المعمار (Architecte)

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

١ — تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوى

فصول لم نرد بها التحدث عن الفلسفة للفلسفة ، ولكنا أردنا بها أن نبدى تأثير الفلسفة فى تطور الأدب الألمانى ، وما كان لأصحاب الفلسفة من فضل عميم على هذا التطور الذى أصاب جميع حقوله الأدبية

الكاتب

تمهيد

الفلسفة الألمانية قبل (كانت)

كانت تستمد ألمانيا مادة فلسفتها وأدبها من فرنسا طيلة القرن السابع عشر ، والفلسفة الديكارتية[١] هى الفلسفة التى كانت تتطارحها الجامعات الألمانية ، (وليبنز) (١٦٤٦ — ١٧١٦) هو أول فيلسوف استطاع أن يبث الحياة فى عروق الفلسفة الألمانية ويذهب بها فى مضمار التقدم شوطاً بعيداً ، كتب الفلسفة باللغة اللاتينية طوراً ، وطوراً بالفرنسية ، وهما اللغتان السائدتان يومئذ ، ولعل شيوعهما واستئثارهما بالكتابات الفلسفية كان يقرّب كثيراً بين المفكرين والأدباء حتى يغدو هذا التقريب أحد الأسباب العاملة على تشييد صرح اللغة وتزيينه وتجميله بما يستطيع فكر ناهض أن يضعه ؛ ولكن علة (ليبنز) أنه كان يتناول المسائل الفلسفية كمادة فنية تلهو بها نفسه ، وهو خلال ذلك قد يعالج المسائل الكبرى ، كمسألة الحياة والوجود ، وقد يوفّق فى الأجابة عنها توفيقاً كبيراً ، ولكنه كان واحداً من كثيرين ممن يعالجون الفلسفة ، ولا يعملون على لم أفكارهم حتى تكون مذهباً خاصاً يضم منها الآراء الناضجة وفكرتهم الخاصة فى الحياة ؛ وجل ما وصل إليه فى فلسفته أن عالج الجبر والاختيار ، ومعرفة الله وعلمه بالمستقبل ، والعناية الالهية ووجود الشر ، وألف مذهبه فى (التفاؤل Optimisme) الذى يرضى عن الوجود ويحبب الوجود إلى الانسان ، هذا المذهب الذى سخر منه (ڤولتير)

(١) نسبة الى ديكارت الفيلسوف الفرنسى الذى يعزى إليه تطور الفلسفة الحديثة

فى مقطوعته زلزال (لزبونة)[١] وفى روايته (كانديد) ، وخير كتب ليبنيز الخالدة كتابه (la monadologie) ، وفى هـذا الـكتاب يعلن انفصاله عن المذاهب المتقدمة ومروقه من مذهب ديكارت الذى جعل من الـكون جزأين : أحدهما عالم الأرواح والآخر عالم الأجساد : فجاء ليبنيز ونقض هذا المذهب ، وأحل محله مذهب (الجزء[٢] الفرد la monade) الذى لا يتجزأ ولا يفنى ، وشأنه فى مذهبه هذا كشأنه فى غيره يفتقر إلى ترتيب وتوفيق وتوحيد

وهذا العمل الذى كانت تفتقر إليه آثار (ليبنيز) إنما أتمه وشذبه من بعده الفيلسوف الصارم (وولف) الذى نزع عن فلسفة ليبنيز الخيال والشعر وشد وثاقها بالحقيقة ، ونفى عنها شيئاً وزاد عليها شيئاً حتى غدت أجزاؤها متآلفة متداخلة كأنها أعضاء فى جسـد واحد . وقد كان له تأثيره العظيم فى الأدب الألمانى والفلسفة الألمانية بشهادة الفيلسوف (كانت) ، لأنه هو الذى خلق فى الألمانية لغة للفلسفة خاصة ، وهو الذى فتح آفاقاً واسعة فى التعبير والأداء لمن بعده ، فهان على هؤلاء أن يجلـّوا وأن يحلقوا ما استطاعوا ؛ ومن هؤلاء (كانت) نفسه ، الذى كانت له صفحات خاصة تشدو بالمزايا التى أسداها (وولف) الى الأدب والى الفلسفة .

على أن الأندية الفلسفية قد تغض بصرها عن كل ما شاد هؤلاء فى صرح الفلسفة ، وتعتقد أن الفلسفة الألمانية إنما كانت قبل (كانت) غيهباً ممدوداً ، وأن الذى محا هذا الغيهب وبعث النور فى خلاله هو الفيلسوف العظيم (كانت) الذى تزعزعت له الأندية الفلسفية والأدبية ، وكانت له فيهما جولات يعزى إليها كل ماغمر الحقل الأدبى والفلسفى — فى ألمانيا — من خصب ومن إنتاج

كانت (KANT)

١٧٢٤ — ١٨٠٤

حياته : فلسفته : تأثيره

حياته

كان (كانت) فى التاسعة من عمره حين فقد والده ، فكفلته أمه ونشأته تنشئة عالية ، فدرس فى بدء عهده اللاهوت ، كما هو العهد فى دراسات تلك العصور ، ثم درس الرياضيات ، ثم الفلسفة ، حتى اذا أتم عهد الدراسة عرض له هم المعيشة ، الهم الذى كان يوقر ظهره فى جميع أدوار حياته ، فرضى بأن يدرس فى مواطن خاصة ، وهو خلال ذلك يتفرغ الى الدرس ، ويلم بجميع العلوم التى تواثم الفلسفة . وفى عام (١٧٧٠) أسند اليه كرسى خاص لتدريس الفلسفة ، وقد عاد أمره الى الضيق ، وحريته الى الأرهاق فى عهد فردريك غليوم ، إذ تدافعت عليه الوشايات يخلقها حسد القوم ؛ ولـكنه ظل مثابراً على العمل حتى عام ١٧٩٧ . وقد كان لعهده هذا تأثير بليغ فى نفوس طلابه الذين جالت يراعاتهم من بعده فى صحف الأدب والفلسفة ، وهو الذى يوصى زملاءه فى إحدى محاضراته : « بأن يحذروا كل الحذر من أن يلقوا فى نفوس طلابهم أن العلم بالغ أوج الكمال ، أو أن يعلموهم ماهى ماهية الفلسفة ، وإنما ينبغى لهم أن يلقنوهم كيف يتفلسفون ، وأن يساعدوهم — لا أن يحملوهم على ظهورهم — إذا أرادوا أن يعلموهم الدروج على الأقدام » . والحق يقال إن (كانت) لم يخلق إلا ليعيش فيلسوفاً ، ولم يلاق منه مذهبه إلا قريناً يحيا به ومعه ، ناهيك يبعض مآثر رواها عنـه القوم ، تدل على ما اتصف به كانت من حب العمل والنظام والتوقيت ومواصلة الجهود الجبارة فى سبيل دراساته المتتالية ، فقد كان الرجل موفقاً كل التوفيق بين مذهبه وسلوكه ؛ قد سن لـكل شىء نظاماً ، واتبع هذا النظام كأنه الرسول يأمر وهو أول من يأتمر

وكانت آخر كلمة له هذه الـكلمة حين لقى حتفه عام ١٨٠٤ : « إنه حسن ! » كأنما يريد أن يقول « لقد عشت كما كنت أود أن أعيش »

***

فلسفته

بدأت فلسفة « كانت » تنمو شيئاً فشيئاً شأن كل فلسفة ، وإنما تميزت من غيرها بطابع الاستقلال الذى انتحى بها ناحيـة جديدة ، فقد تأثر كانت بمن تقدمه من الفلاسفة واتخذ غذاءه العقلى منهم ، وما كاد ينشأ ويترعرع ويشتد ساعده حتى أعلن انفصاله عنهم ونهج منهجاً جديداً اختطه لنفسه

---

(١) سبقت ترجمة المقطوعة للـكاتب فى الرسالة

(٢) الجزء الفرد كائن بسيط يدخل فى المركبات ، لاجزئية فيه ولا ساحة ، ولـكنه يتصف بصفات ، ومنه تشكلت عناصر الطبيعة ... (ليبنيز)

وفى كتابه (آراء فى التقويم الحقيقى للقوات الحية) حيث أراد أن يوفق فى الفلسفة الطبيعية بين ليبنز وديكارت يقول : « قد أتمثل أن هنالك لحظات لا يمنع الانسان فيها أن يعتمد على قوته ، إن هذا الاعتماد ليولد فينا جهوداً متواصلة ، ويمنحها سبيلاً يفيدها فى سعيها نحو الحقيقة ، وجميل بنا أن ننخدع ألف مرة ، لأن الضال المنخدع ليعمل على خدمة العلم أكثر ممن لا يسلك إلا السبيل المطروقة . . . إننى هنالك سأطأ . . . وقد سلكت السبيل التى أردتُ أن أتبعها . . . . سأسلكها ولن يقف سيرى أحد »

إن هذه الثقة المطلقة بالنفس بدأ يظهر فضل إنتاجها فى فلسفة « كانت » لأنها فرضت عليه أن يخط سبيلاً جديدة ، ويطلع على الناس بمدرسة للفلسفة جديدة ، وهل كان العصاميون إلا أبناء اعتمادهم على أنفسهم ؟ وقد ظهر أول إنتاجه فى كتابه (تاريخ الطبيعة العالمى ، ومنهج السماء العام ، وتجربة على الأصل الميكانيكى للعالم حسب قوانين نيوتن) ، فكتابه هذا هو تجربة ميكانيكية سماوية مؤسسة على علم الطبيعة . فالعالم نيوتن لم يسن إلا قانون الحركات السماوية . وعند ما أتى على درس أصل هذه الحركات ناط الأصل بالأرادة الآلهية التى يذعن لها كل شىء ، ولكن « كانت » أدرك أن القانون الذى أفاد فى تعيين مذهب الوجود ، ينبغى له أن يحلل مركباته ، وأن القوات التى تحفظ الوجود ينبغى ألا تختلف عن القوات التى أبدعت الوجود . وأخيراً يفترض فى بيان أصل الوجود أن مادة (Hamogene) متشابهة مؤلفة من أجزاء متشابهة تقودها حركة دائرة ، وهى تتشكل وتتنوع بحسب ما يحتوى باطنها من قوة وفاعلية ، ثم يصف الخلاء (أو الفراغ) ، وقد استحال جواً غائماً ، وشموساً وسيارات وأقماراً ، ولكنه فى الحقيقة لم يزد شيئاً ، إلا أنه سار بالمسألة التى وقف نيوتن عليها ، وهذه المسألة المبهمة هى عديمة الحل فى ذاتها ، إذ ليست الحياة إلا العمل الدائم نقبله على وضعه ؛ وفصول أخرى جاءت فى الكتاب تغمرها أنفاس شعرية تبدى لنا (كانت) فى عهد كان لا يفر من عاطفته ، وقد تراه فى بعض صفحاته يسوق اليك نظريات قد استغلها (لابلاس) نفسه بعد خمسين عاماً

كانت العلوم الطبيعية هى شغل (كانت) فى جميع أدوار حياته ، وهذه العلوم هى التى فتحت لنفسه أفقاً جديداً تركها لا يقنعها مدى الأفق الضيق الذى تخلقه المدرسة ، حتى إذا مرت عليه أعوام عاد اليه حنينه الى الفلسفة المقصودة بذاتها ، فحارب المذاهب الهندسية التى تعنى بالبراهين المنطقية ولا تعنى بالبراهين العملية ، وقد وضع كتاباً خاصاً ناضل به أصحاب العلم النظرى

يستشهد (كانت) بكلمة لأرسطو « ترانا حين نكون شيوخاً نعيش سواء فى هذا العالم نفسه ، ولكننا عند ما نسترسل فى الأحلام والأوهام فكلٌ منا له عالمه ... » ثم يقول : « وحين يبنى الناس دعائم الوجود كلٌ بحسب رغبته ، فليأذنوا لنا بأن نقول : إن هؤلاء الناس يحلمون ! ولكن هل يدفعنا هذا الى القول : أن كل علم نظرى فاسد ؟ لا . لأن العلم النظرى قد يسد حاجة من حاجات عقلنا ، ولكنه لن يكون ناجحاً مفيداً إلا إذا كان موثقاً بمجال معرفتنا . ويقول كانت : إن العلم النظرى له عملان : يجيبنا فى الأول على أسئلة كثيرة يخلقها العقل الطامح إلى كشف أسرار الوجود ، وههنا يكثر انخداعنا بنتائج تأتينا على غير ما نتوقع ؛ وفى العمل الثانى يُبين لنا ماهية المسألة التى نعالجها وموضعها من حدود إدراكاتنا ، وإمكان اتصالها أو استحالته بتجاربنا ومعارفنا . وعلى هذا نرى العلم النظرى إنما هو معرفة لحدود العقل البشرى ، وهو كالبيت الصغير ترى حدوده دائماً كثيرة ، وإنما ينبغى لهذا العلم أن يكون أكثر شغفاً بالمعرفة ، وأشدَّ صيانة لما يملكه ، لأن ذلك أجدى عليه من انتصارات جديدة يركض وراءها ركضاً أعمى لا يغنيه شيئاً

هذا هو رأى كانت فى العلم النظرى ، وهذا الرأى نفسه هو الذى خلق كتابه (نقد العقل الخالص) هذا الكتاب الذى أظهر مزية (كانت) وعلو كعبه فى الفلسفة ، وكان له التأثير العميق فى فلسفة أوربا الحديثة

خليل هنداوى

تصويب

وقع فى مقال (لويدجى بيراندلو) المنشور فى العدد الماضى خطآن مطبعيان نرجو اصلاحهما . ففى آخر صفحة ١٩٨٩ : يريد بيراندلو ، والصواب : يرى . وفى صفحة ١٩٩٢ سطر ١٥ : (اكتشاف) حقيقة كانت مجهولة عن طريق الحركة ، والصواب : وليس عن طريق الحركة

العلوم

فى تاريخ الرياضيات

للأستاذ محمد محمد السيد

للأستاذ قدرى طوقان آثار مشكورة فى الأبانة عن فضل العرب فى الرياضيات والعلوم ، ومقاله الأخير فى الرسالة (١) يكشف عن بعض أثر العرب فى تلك الناحية . إلا أنه يلوح لى أن حرصه على إنصاف العرب يكاد يدفع به الى إسناد الفضل لغير أهله

خذ مثلاً حساب التفاضل والتكامل . فالمعروف فى تاريخ الرياضيات أن يودكسوس (حوالى ٤٠٠ ق م) وأرشميدس (حوالى ٢٥٠ ق م) وغيرهما كانوا سباقين فى استعمال طرق تقرب من طرق التكامل فى إيجاد المساحات والحجوم . فأرشميدس مثلا أعطى مساحة أى قطعة من قطع مكافىء . وأوجد مركز الثقل لصفائح ذات أشكال مختلفة . الخ وفى كتابه (Method) نسب الى ديموقراطيس (حوالى ٤٥٠ ق م) بأنه أول رياضى قرر المعادلة الصحيحة لحجم الهرم أو المخروط بتقسيم كل الى شرائح صغيرة (٢)

فاذا كان بعض مؤلفى العرب قد نسجوا على منوال رياضيى اليونان فى حل مسائل عن المساحات والحجوم ، فهم لا يستحقون لذلك فضل المبتكر . ولو أن فضلهم فى الدرس والمثابرة مشكور غير منكور على كل حال

ومثل ذلك يقال عن دوران الأرض . فقد أبان الأستاذ بحق أن الفكرة قديمة . وقد تنازعها كثيرون من أعلام اليونان تأييداً وتفنيداً . فاذا ظهر من العرب من يأخذ بها أو من ينكرها ، ففضله فى ذلك لا يعدو فضل الحكم يختار من بين الآراء المختلفة أحدها بدون أن يأتى بجديد من الحيثيات مؤيداً أو مفنداً

جاء فى تاريخ الرياضيات لبول (١) أن أحد كتاب العرب فى الأندلس ويدعى Arzachel (؟) (عاش فى طليطلة حوالى ١٠٨٠م) قال بحركة الكواكب فى قطع ناقص . ولكن معاصريه أنكروا قوله لمخالفته لبطليموس . ومن المعلوم أن يوحنا كپلر هو الذى توطد على يديه هـذا الرأى حوالى ١٦٠٠ م ، ولكنه لم يشهر رأيه ولم يقتنع به ولم يدافع عنه إلا بعد مشاهدات وأبحاث استغرقت أعواما عديدة . ولا شك أن فضل كشف هذه الحقيقة يجب أن يستأثر به كپلر وحده دون غيره . فالرأى نفسه عار عما يعززه ، لا يقدم ولا يؤخر فى العلم . ولكن المشاهدات والأدلة هى التى يقوم عليها الأقتناع والأقناع

ومن المشهور فى كتب الرياضيات والعلوم أن جهد اليونان ثم العرب فى العلوم الرياضية كان مقصوراً على الجانب النظرى . ولم يكن للتجربة والمشاهدة أثر فعال فى كسب المعلومات إلا بعد عصر الأحياء فى أواسط أوربا . صحيح أن أثر العرب لا ينكر فى الكيمياء والطب . ولكن تجاربهم فى الفزيقا والرياضة التطبيقية نادرة . وحتى هذا النادر مختف فى طيات الكتب القديمة ينتظر كولمبس جديدا لكشفه .

ولذلك قرأت بشغف ما كتبه الأستاذ خاصاً بالجاذبية ، ومن أن العرب أخذوا فكرة الجذب عن اليونان « وزادوا عليها ووضعوا بعض القوانين لسقوط الأجسام » ، فاذا كان العرب قد وضعوا حقاً بعض القوانين لسقوط الأجسام ، فمعنى هذا أنهم سبقوا فى ذلك جاليليو وتجربته الشهيرة التى أجراها من برج بيزا . والتى يقول علماء التاريخ بأهميتها فى القضاء نهائياً على ما قال به اليونان من اختلاف سرعة سقوط الأجسام الثقيلة عن الخفيفة . فاذا كانت هناك تجارب فى هذا الشأن أجراها علماء العرب

---

(١) الرسالة عدد ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٤

(٢) The Great Mathematicians تأليف H. W. Turnbull الباب الثانى

(١) A short Account of the History of Mathematics تأليف R. Ball الباب العاشر

فتفصيلها يضيف زيادة ذات بال إلى المعروف المشهور عن فضلهم على العلوم والمعارف . ولعل الأستاذ يدلى بما وصل إليه علمه فى هذا الشأن

ومثل ذلك يقال عما جاء فى مقال الأستاذ عن « ابن حمزة المغربى » واستعماله فى بحوثه عن المتواليات الهندسية طرقاً تقرب من اللوغارتمات[١] فمن المفيد نشر فضل هذا الباحث وآثاره فى هذه الناحية بالتفصيل خدمة للتاريخ

***

فى المقال النفيس الذى ظهر فى العدد التالى من الرسالة فصّل الأستاذ المبارك أثر العرب فى الرياضيات ، ولكن فضل العرب فى الجبر يحتاج إلى بعض الأبانة

فقد ذكر الأستاذ أن العرب لم يستعملوا رموزاً حرفية فى معادلاتهم الجبرية ، وإنما استعملوا كلمات بأجمعها دون اختصار ، ولعل الأستاذ قصد الخوارزمى دون غيره فى هذه الفقرة . وإلا فمن المؤلفين العرب من استعمل الرموز كما تستعمل فى الجبر اليوم

ففى مؤلف للقلصدى (Al Kalsâdi)[٢] (توفى سنة ١٤٨٦ م أو ١٤٧٧ م) . عنوانه (كشف الستار عن علم الغبار)[٣] كان يستعمل فى المعادلات الجبرية الرمز (س) للمجهول (أول كلمة شىء) والرمز م (ربما كان أول كلمة مال) لمربعه ، والرمز ل (ربما كان الكاف أى مثل) لعلامة التساوى . فمثلاً المعادلة

م ش
٣ ل ١٢ ٦٣ يقصد بها ٣ س^{2} = ١٢ س + ٦٣

كذلك جاء فى هذا المؤلف أيضاً استعمال الرمز (ج) (أول كلمة جذر) علامة الجذر التربيعى فكان يكتب

(١) قال الأستاذ فى الكلام عن نابيير واختراعه اللوغارتمات : انه فى هذا الاكتشاف غير منافس . ولكن كاچورى فى مؤلفه A History of Elementary Mathematics يقول « وممن ينازعون نابيير فخر اختراع اللوغارتمات السويسرى Joost Bürgi أو Byrgius (١٥٥٢ — ١٦٣٢) اذ كان مع كپلر فى پراج . وقد نشر جداوله فى اللوغارتمات بإلحاح كپلر بعد ظهور مؤلف نابيير بتسع سنوات . ويلوح أنه اهتدى للفكرة قبله (أى قبل نابيير) وربما معه

(٢) F. Cajori تأليف A History of Elementary Mathematics فى الكلام عن فضل العرب فى الجبر

(٣) علم الغبار ويقصد به علم الحساب . وهذه التسمية تدل على الأصل الهندى للأرقام الحسابية ، اذ أن الهنود كانوا يستعملون فى عملياتهم فى الحساب ألواحاً يرشون عليها التراب ويخطون فوقه أرقامهم . وقد كان فى هذا عون لهم فى عملياتهم الحسابية ، اذ كان أساس هذه العمليات عندهم كتابة الحواصل الجزئية ثم محوها وكتابة الحواصل التالية وهكذا حتى لا يبقى على اللوحة فى النهاية ، مثلا فى عملية الضرب ، إلا المضروب والمضروب فيه وحاصل الضرب

ج/٤٨ ويقصد بها الجذر التربيعى للعدد ٤٨

ولاشك أن هذا الاستعمال ، إن صح ، يعزز الأصل العربى للاصطلاح المذكور وهو ما ينكره الأستاذ المبارك

أما حل العرب لمعادلات الدرجة الثانية جبرياً فلا فضل لهم فيه ، فقد سبقهم ديوفانتس والهنود فى ذلك . ولكن يرجح أنهم اقتبسوا حلهم من الهنود . إذ لم تكن أعمال ديوفانتس قد وصلت إلى علمهم بعد

ولكن العرب أضافوا حلولاً هندسية لمعادلات الدرجة الثانية من ابتكارهم[١] . كذلك فعلوا بمعادلات الدرجة الثالثة إذ أعطى كل من المهنى (؟) Al Mahâni وأبى جعفر الخازن وأبى الجود وعمر الخيام حلولاً هندسية لمعادلات الدرجة الثالثة[٢]

وقد حل عمر الخيام[٣] معادلات من الدرجة الثالثة من الصور الآتية

س^{3} + ب^{2} س = ب^{2} ح

، س^{3} + ا س^{2} = ح^{3}

، س^{3} $\pm$ ا س^{2} + ب^{2} س = ب^{2} ح حيث

ا ، ب ، ح أعداد صحيحة موجبة

وحل أيضاً المعادلة من الدرجة الرابعة الآتية

(١٠٠ − س^{2}) (١٠ − س)^{2} = ٨١٠٠

كذلك أعطى ثابت بن قرة[٤] حلاً هندسياً لبعض صور معادلات الدرجة الثالثة (وهو فى هذا يسبق عمر الخيام)

وقد يكون من المفيد أن ألفت نظر الأستاذ فيما يختص بإشارة الناقص التى تستعمل للطرح إلى أصل محتمل لها وهو « النقطة التى كان يستعملها الهنود ويضعونها فوق الكميات المطروحة . وقد تكون علامة ناقص من الشرطة التى كانت توضع فوق الكتابات القديمة دليل ضياع أحرف منها . . . »[٥]

طنطا — محمد محمد السيد
مدرس

(١) انظر تاريخ الرياضيات المذكور آنفاً تأليف R. Ball تحت اسم الخوارزمى الباب التاسع

(٢) F. Cajori تأليف A History of Elementary Mathamarics فى الكلام عن فضل العرب فى الجبر

(٣) انظر تاريخ الرياضيات المذكور أعلاه تأليف R. Ball تحت اسم الخوارزمى الباب التاسع

(٤) انظر مؤلف Ball تحت اسم ثابت بن قرة الباب التاسع

(٥) انظر مؤلف Ball الباب الثانى عشر

البريد الأدبي

الأدب البلغاري

الأدب البلغاري من الآداب الأوربية الفتية التي نشأت وازدهرت بسرعة مدهشة ؛ فالأدب البلغاري الحديث يرجع إلى نحو ثلث قرن فقط ، أي إلى عهد الاستقلال القوي ، ومع ذلك فقد سارت هذه النهضة الأدبية واستكملت عناصر النضج بسرعة .

وقد نشر الكاتب البلغاري نيكولاي دونتشيف أخيراً كتاباً بالفرنسية عنوانه « المؤثرات الأجنبية في الأدب البلغاري » استعرض فيه مراحل الحركة الفكرية في بلغاريا وخواصها ؛ وملخص بحثه أن هذه الحركة على فتوتها قد استطاعت أن تستكمل عناصر ثقافة تامة ؛ ومن الطبيعي أن تتجه قبل كل شيء نحو المثل والأماني السلافية ، على أنها لم تهمل الاقتباس من مختلف الآداب الأوربية التي تستطيع الانتفاع بها ؛ وقد ألفت الحركة لسانها وروحها في الوطن البلغاري والروح البلغاري ، ولم تتدخل المؤثرات الأجنبية إلا لتصوغ أو توجه هذه المادة القوية الأصيلة ، ولكنها لم تحولها قط عن طرافتها وتقدمها الطبيعي

وقد استطاعت الحركة الأدبية البلغارية في مبادلاتها مع آداب الأمم الأخرى أن تنفذ إلى جميع نواحي الشعر والنثر والخواص النفسية ، وجميع مظاهر التفكير البشري ؛ ويشرح دونتشيف في كتابه مختلف التيارات التي اندمجت في المجرى القوي الذي أوحى به الاستقلال القوي ، ويبين كيف أن هذا الأدب الفتي الذي استعاد كل ثروته اللغوية ، قد تحول إلى مادة غنية تضم كل ما وهبته الأمم المجاورة أو كل ما بثته فيها

والأدب البلغاري ، ما يزال بلغارياً في روحه وجوهره ، وذلك رغم تأثره بالآداب الروسية والفرنسية والألمانية ، مما يدل على قوته وحيويته ؛ فهو لم يخضع قط لهذه المؤثرات خضوع العبد المساق ، وهو ليس مقلداً ولا ناقلاً فقط ؛ وكل ما هنالك أنه كالتلميذ الذي يستق من أستاذه ، ليصوغ ما يأخذه في معدن عبقريته المستقبلة ، وهو لا يقتبس إلا ما يفيد في تغذية قلبه وروحه ، ويرفض كل ما هو سطحي أو مصطنع ؛ وكل ما يخرجه يتميز بطابعه الخاص ، بحيث لا يطغى عليه أي طابع آخر ، وهذا الازدهار نتيجة طبيعية لحركة لا تدور حول نفسها عبثاً ، ولكنها تفتح صدرها لكل الرياح التي تهب عليها من كل مكان يتفتح فيه الذهن البشري ، فتزداد بذلك نماء وخصباً

ولم يبق الأدب البلغاري مجهولاً بعد في أوربا الوسطى والغربية . فقد ترجم كثير من الآثار البلغارية ، إلى الألمانية والانكليزية ؛ وظهرت قطع مسرحية بلغارية في أثوابها المترجمة على كثير من المسارح الأوربية

في الأكاديمية الفرنسية

خلت منذ حين أربعة كراسي في الأكاديمية الفرنسية على أثر وفاة المسيو بوانكاريه ومسيو بارتو ، ومن قبلهما مسيو كاميل جوليان المؤرخ ، والماريشال ليوتي ، وقد انتخب أخيراً مكان كاميل جوليان المسيو ليون بيرار السياسي والخطيب الأشهر ، وانتخب مكان الماريشال ليوتي زميله الماريشال فرانش دسبريه .

وأما كرسي المسيو بارتو ، فانهم يرشحون له مسيو دومرج رئيس الجمهورية الأسبق ورئيس الوزارة السابق ؛ وهنالك إجماع على انتخابه فيما لو قدم ترشيحه ، غير أنه لم يعرف رأيه في ذلك الاقتراح بعد

وستعقد الأكاديمية جلستها التالية في يوم ٢٠ ديسمبر الحالي ؛ ويلقي مسيو بول ڤاليري خطاب الافتتاح وتوزع بعض الجوائز الأدبية

مؤلف جديد عن نابليون

صدرت كتب عديدة جامعة بمختلف اللغات عن نابليون بونابارت وعن عصره ؛ وصدر أخيراً مؤلف جديد بقلم المؤرخ الفرنسي الكبير « لوي مادلان » عنوانه « نابليون » ويدرس مسيو لوي مادلان نابليون من ناحية جديدة ، هي ناحية « المنشئ على الطريقة الرومانية » . وكان من أشهر الدراسات التي صدرت عن نابليون في العهد الأخير دراسة لأميل لودفيج الكاتب الألماني يدرس فيها نابليون من نواحيه الشخصية والانسانية ، ولكن

دراسة لودفيج يغلب عليها الطابع المسرحي ، وهو الذي يغلب على معظم كتابات لودفيج ، أما بحث لوى مادلان ، فيغلب عليه الطابع النفسي والعلمي . وهو يرى فى نابليون « لاتينياً » وارثاً للأمبراطور شارلمان ؛ ويراه امبراطوراً من طراز رومانى ، نام منذ عصر ماركوس أورليوس ، ثم نهض فرأى العالم حوله أنقاضاً وأطلالاً ؛ ولكنه بدلا من أن يتخذ رومة مركزا لبنائه اتخذ باريس وجزيرة فرنسا ، وكانت فرنسا فى نظره نواة مركزية لاتحاد أوربى جامع ، ولكنه لم يكن يرمى الى طبع أوربا بالطابع الفرنسى ، بل كان يرى فى حريات الشعوب التى تتألف منها الأمبراطورية الشاسعة ما كان يراه الرومان

ثم هل كان نابليون فرنسياً ؟ لقد كان يشعر أنه فرنسى ؛ ولم يكن فى قوله : « إنى أريد أن أثوى على ضفاف السين إلى جانب أولئك الفرنسيين الذين شد ما أحببتهم » مايدل على شعوره بأنه أجنبى ؛ وإنما كان شعوره أنه « رومانى » . وقد جاء هذا الرومانى فى أواخر القرن الثامن عشر ، والعالم من حوله أطلال ممزقة ، فأراد أن يحيى نوعاً من « العالم الرومانى » الذى يعتقد أنه ما زال حياً يمكن إنقاذه

أكاديمية الأدب الفكاهى

لعل من الشائق أن يعرف القراء أنه توجد فى باريس جمعية أدبية تسمى « أكاديمية الأدب الفكاهى » وأن هذه الجمعية تتزعم حركة الكتابة الفكاهية ، وتمنح الكتاب الفكهين جوائز أدبية ، وتشجع بذلك على إنشاء الأدب الفكاهى ونهضته ، وقد وضعت هذه الجمعية أخيراً مكافأة قدرها خمسمائة فرنك (سبعة جنيهات) لمن يضع أحسن قصة فكاهية لا تزيد على ثلثمائة سطر ، ولا تقل على ثلثمائة سطر ، ولا تقل عن مائتين وخمسين ؛ (وستعنى الجمعية بنشرها فى صحيفة باريزية كبرى) ؛ وتشمل هذه الجمعية أيضاً برعايتها أصحاب الفن الفكاهى مثل مصورى الصور الهزلية (الكاريكاتير) ، ومن اليهم من الفنانين

الشفالير ديون

ظهر أخيراً كتاب بقلم الكاتب الفرنسى چان جاك بروسون عنوانه « الشفالير ديون » La Chevaliere d, Eon ؛ ويتناول هذا الكتاب موضوعاً مدهشاً لازال لغزاً من ألغاز التاريخ والمجتمع ، هو شخصية لم يتفق المؤرخون على جنسها ؛ هل كان الشفالييه ديون رجلاً أو امرأة ؟ ويجب أن تعرف أن هذا الشخص المشكل قد عاش فى عصر لويس الخامس عشر ، وكان يتبوأ مركزاً هاماً فى البلاط وفى سياسة الدولة

وقد عرف الشفالييه ديون أولا بأنه رجل ، وتولى بهذه الصفة بعض المناصب ؛ ولكنه كان فتى ناعماً خلاباً يضارع فى الحسن ورقة المحيا والتقاطيع أجمل فتاة ، وكان إذا مثل فى الحفلات الراقصة يرتدى دائماً ثياباً نسوية فيبدو كأنه امرأة فاتنة ؛ وكان فى أحيان كثيرة يرتدى هذه الثياب ويؤثر الظهور بها ؛ وكان يتسلل بهذا الزى الى أعمق المجتمعات الرفيعة ، والى غرف الأميرات والملكات ؛ ولما وقف لويس الخامس عشر على مسلكه قضى بأن يعتبر امرأة ، وأن يرتدى الثياب النسوية دائما ؛ ثم خشى لويس الخامس عشر من دسائسه فأمر بسجنه فى قلعة ؛ ولما أطلق سراحه فر الى انكلترا ، واحترف تدريس المبارزة ، وظهر فى المجتمع اللندنى بأنه أستاذ بارع فى الفن ؛ ولما توفى فحصه بعض الأطباء ، فيقال إنهم وجدوه رجلاً كامل الأعضاء والرجولة ولكن شخصية الشفالييه ما زالت غامضة . هذه هى القصة التى يعالجها المسيو بروسون فى مؤلفه الشائق ، ويفضل مسيو بروسون أن يعتبر الشفالييه امرأة ذات خواص غير عادية ، وأن صفة الأنوثة هى الأصيلة فيه . ويورد فى كتابه كثيراً من السير العجيبة عن هذه الحياة المدهشة التى لبثت تثير دهشة المجتمع الفرنسى مدى حين

الإذاعة اللاسلكية العربية

إن محطات الأذاعة التى تذيع باللغة العربية اليوم هى :

المحطة المصرية وموجتها وقوتها ومواعيدها معروفة

ومحطة الجزائر وموجتها ٣١٨٫٨ م وقوتها ١٢٫٥ ك.و

وتذيع باللغة العربية يومى الاثنين والأربعاء من الساعة ٢٠ الى الساعة ٢٠٫٤٥ ، ويوم الثلاثاء من الساعة ٢٤ الى الساعة ٤٫٤٥ ، ويوم الخميس من الساعة ٢٣٫٥ بحساب الزمن فى مصر

ومحطة الرباط بالمغرب وموجتها ٤٩٩٫١ وقوتها ٦٫٥ ك.و

وتذيع بالعربية ساعة فى كل يوم من أيام الأحد والثلاثاء والخميس والجمعة من الساعة ٢١

ومحطة بارى بايطاليا وموجتها ٢٨٣٫٣م وقوتها ٢٠ ك.و

وتذيع بالعربية ربع ساعة فى كل يوم من أيام السبت والثلاثاء والخميس من الساعة ٢٠٫٣٠ ، ولا تذيع إلا الأخبار فقط

وتلاحظ مجلة العالم الأدبى التونسية التى ننقل عنها هذا

القصص

من الفن القصصي الحديث

حقيبة القـــدر

للقصصي الألماني لدفج باوَرْ Ludwig Bauer

كان جورج شاباً هادىء الطبع فاضل الخلق ، لم يكد يخرج من أزمة بسيطة انتابته حتى استقل القطار قاصداً بلدة صغيرة ليشغل فيهـا وظيفة متواضعة . وكان كل شيء يبدو لجورج عادياً لا خطر له ، وقد مرت سنو عمره دون أن تتخللها مغامرة ، أو يسترها حادث خطير يهز حياته التي كانت أشبه بحياة أبناء الطبقة الوسطى ، وعند ما بلغ القطار عند منتصف الليل المكان الذي يقصده جورج أخذ حقيبته من الغرفة المكتظة التي كان يجلس فيها مولياً وجهه شطر حياته الجديدة

وصل جورج الى الفندق الصغير الذي عزم على الأقامة فيه ، وعند ما ذهب إلى سريره لينام نظر الى الحقيبة ، وسرعان ما علته الدهشة ، فقد كانت تشبه ولاشك حقيبته ، ولـكنها لم تكن هي بذاتها ، على أن جورج خشي أن يكون مخطئاً في تقديره ، فحاول أن يفتحها بالمفتاح الذي لديه ، ولـكن عبثاً حاول . على أنه عند ما ضاعف جهده انفتحت فجأة . وكانت أول نظرة ألقاها كافية لأن تثبت له أنه لم يكن مخطئاً . نعم كانت الحقيبة لشخص آخر .

أما حقيبته الأصلية وما فيهـا من سقط المتاع وهو كل ما يملكه ، فقـد كانت في ذلك الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لا صاحب لها . ووجد جورج نفسه – وهو الذي لم يصادف في حياته مشاكل صعبة يحتاج لحلها – عاجزاً منذ اللحظة الأولى عن أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذهوله ودهشه . ما العمل الآن ؟ كيف يستطيع الحصول على البذلة التي يرتديها أيام الآحاد أو على زوج حذائه الثاني وسائر ملابسه ؟ كان جورج يأمل أن يجد في محتويات الحقيبة بعض المعلومات عن مالـكها الحقيقي الذي قد يكون هو الآخر مستاءً من استبدال حقيبته بأخرى ، لذا شرع جورج يبحث أثناء تفتيشه في الملابس المتسخة عمّا يدله على الشخص الذي أخذ حقيبته . وشعر تحت يديه برزمة من الأوراق ، فلما جذبهـا وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية ، وأفلتت هذه الرزمة من يد جورج فانتشرت على أرض الغرفة رزمة من الأوراق المـالية من كل نوع

لم يعرف جورج من هذه الأوراق الغريبة المتعددة الألوان إلا عددا ضئيلاً . وجمع جورج الأوراق المالية واستمر في البحث ، فاكتشف في قاع الحقيبة المفروشة بالورق مايشبه وسادة منتفخة من الأوراق المـالية المختلفة . ونظر جورج حواليه وقد انتابه العجب والذهول منتظراً شخصاً يأتي اليه ليوقظه من ذلك الحلم اللذيذ المخيف في وقت واحد . على أنه لم يأت أحد ، وبقيت الأوراق في موضعها دون أن تختفي ، كما لو كان الأمر حلماً من الأحلام . لم يكن جورج قد رأى من قبل مثل هذا القـدر من المال . أخذ يعـده ، وكان حبه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق على حدة ، دون أن يعرف بالضبط قيمة كل منه ، على أنه بعد بضع دقائق عرف جيداً أن ما أمامه مقداراً بالعملة الذهبية ، يتراوح بين مليون ونصف ومليونين . وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات حقيبته قد دُفع لهـا ثمنٌ أكثر من الثمن الذي تسـاويه . على أن هذه الفـكرة لم تخطر بباله . وكل ما كان يضايقه هو فكرة الاتصال بصاحب هذه الـكنوز ،

البيان أن محطة الأذاعة المصرية إنما قصرت عن مجاراة المحطات العالمية الأخرى لعاملين اثنين : أولهما ضعف قوتها ، فقد جعلوها (٢٠ ك.و) والعالم العربي منتشر من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، والأمة ذات اللسان المنتشر لا تكتفي بأقل من (٦٠ ك.و) ؛ وثانيهما أن موجتها ذات مقياسٍ مشترك مع محطة الأذاعـة الفرنسية لعاصمة البلجيك ، وذلك ولا شك يؤثر في قوتها ويزيد من اضطرابها . وهما ملاحظتان جديرتان بالنظر

واستبدال كل من الحقيبتين بالأخرى . قال لنفسه :

— لعل من الخطابات ما يدل على اسم صاحب الحقيبة وعنوانه

كان جورج شاباً ذا خلق قويم ، لذا كانت فكرة البحث في الخطابات التي لم تكتب إليه تضايقه وتؤلمه . على أنه في هذا الظرف كانت الضرورة ومصلحة كل من الطرفين تحتمان عليه أن يفعل ذلك . لذا شرع يقرأ

قرأ جورج الخطابات فعرف من القراءة أشياء كثيرة لم يعرفها طول الثلاثة والعشرين عاماً التي قضاها في هذا العالم : أشياء لم تكن تخطر له ببال . لم يستطع جورج أن يفهم جيداً هذه الخطابات ، فقد شعر منذ ابتدأ في قراءتها أنها ممتلئة بالتلميحات والكلمات السرية والمصطلحات . على أنه استطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المالية هي ملك أحد لصوص الفنادق ذوي النفوذ الواسع ، وكانت تصل إليه من شركائه ومن صديقة عزيزة كل أنواع المعلومات والارشادات . ولمعت أمام عيني جورج أسماء كثير من الأماكن والبلدان الأجنبية التي تمتاز بغناها ورفاهيتها . وفي بلدة (كان) على الخصوص استطاع ذلك اللص الخطير أن يلعب دوراً رائعاً مع السائحين الأمريكيين . وفهم جورج من آخر خطاب أرسلته صديقة ذلك اللص إليه أنه يريد أن يضع حداً لمغامراته ويلجأ إلى الراحة والعزلة . فقد كان الاثنان يملكان ثروة كافية . وكانا يستطيعان أن يعيشا من الآن حتى آخر العمر عيشة مدنية مريحة ، فقد كانت الحلي قد بيعت بثمن ضخم ، ولم يبق إلا قفل من الزمرد كان يمكن أن يباع بخمسين ألف فرنك لولا أنه كان من المحتم أن تنتهي عملية البيع خفية وبأسرع ما يمكن . ولذلك بيع بثمن غير مناسب . وعرف جورج أثناء قراءته أن كل شيء قد أعد وأن السعادة الأكيدة كانت تنتظر الصديقين بعد محن عديدة وأخطار لا عدد لها أمكن التغلب عليها بمهارة وشجاعة

ووضع جورج رأسه في الماء البارد . كان من اللازم أن يتخذ قراراً . فقد كان واثقاً على الأقل أن صاحب الحقيبة سوف لا يأتي إليه ليستبدل حقيبته بالأخرى لأنه لا يحب أن يقبض عليه . كان أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ اللص هارباً ببذلة جورج وحذائه وملابسه التي منها عدد من القمصان الجديدة كان يحبها جورج ويفتخر بها . وأن يقع العبء كله على كتفي جورج وحده . فهذه الحقيبة التي لديه تجعله هو الذي اخترق الجدران والأسطح ، وهو الذي تسلح بالليل البهيم والمسدس في قبضته ليدخل الفنادق الفاخرة فيحطم صناديق الجواهر الموضوعة إلى جانب أصحابها السابحين في نومهم . على أن هذا اللص كان أيضاً بالنسبة لجورج المحسن المجهول ، فقد ترك له ثمرة حياته الاجرامية الطويلة المفعمة بالمغامرات ، فبعد أن أراد ختام هذه الحياة والفراغ من هذه المهمة وبعد أن وثق من الغد ورقد في القطار يستريح مجهوداً مكدوداً ، أخذ جورج حقيبته دون أن يدري . ولا بد أن ذلك اللص الخطير قد ثار في تلك اللحظة غاضباً يسخط حيناً ويقسم حيناً آخر لا يعرف إلى من يشكو ، لاعناً ذلك السارق القذر الذي خدعه وانتزع منه قائمة أعماله كلها . تلك القائمة التي ضحى من أجلها كثيراً ولاقى في سبيلها الأهوال . على أن هذا السارق القذر ليس في الواقع إلا شاباً من أسرة متوسطة فاضل الخلق طاهر الذيل ، لم يكد يقع في هذه المشكلة الخطيرة حتى أحس في عقله البسيط رعباً فظيعاً وعذاباً مضنياً

واتخذ جورج قراراً سريعاً ، وقام لفوره وأغلق الحقيبة وتقدم نحو باب الغرفة متجهاً إلى مركز البوليس ليعرض مسألته : وقد أحس وهو يفعل ذلك بالهم والحسرة ، ولكنه كان يعزي نفسه كلما فكر في المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها بسبب تبليغه ومساعدته في القبض على ذلك اللص الخطير . وأخذ يحسب ما سوف يناله من المال لو كانت هذه المكافأة خمسة أو ستة في المائة

وجد جورج نفسه أمام دائرة البوليس ، ونظر الى الجرس متأملاً مفكراً ، ولم يكد يضع أصبعه على الزر حتى تبدد حلمه في الغنى والجاه . على أنه بالرغم من ذلك سوف يدخن — عندما يقبض المكافأة — نوعاً من السجائر أغلى ثمناً من النوع الذي يدخنه ، وتذكر — وهو يدق الجرس — والديه الكريمين المتوفيين ، وتذكر معهما تلك الدروس القيمة التي كان يتلقاها منهما ؛ وتذكر أيضاً تلك العبارة (إن المال المكتسب عن طريق غير شريف لا يأتي بفائدة) . وكان يقول لنفسه أيضاً : إن البوليس سوف يعثر عليه يوماً من الأيام . لقد دفعه كل ذلك إلى أن يدق الجرس بغير قوة ولا عزم ، ولكنه دق الجرس والسلام . وانتظر ... ولكن لم يجبه أحد . ودق للمرة الثانية واستمر واضعاً إصبعه على الزر ، وانبعث صوت شخص نائم يسأله ماذا يريد ، طالباً منه أن يعود في اليوم التالي ؛ لأن دائرة البوليس لا تفتح أثناء الليل . وسمع في ذلك الوقت صوتاً صاخباً هو صوت نافذة تقفل بعنف

عندما رجع جورج الى الفندق بدا له فجأة ان مشيئة علوية

هى التى أرادت ألا تُسلِّم الحقيبة الى دائرة البوليس . فقد فعل كل ما يستطيع حتى أنه عرض نفسه للخطر ولكن الله لم يشأ ، لذا ترك جورج كل فكرة فى الذهاب الى دائرة البوليس واعتقد أنه يجب أن يكون أكثر شجاعة وجرأة . ومرة واحدة وجد نفسه عازماً على الاحتفاظ بالمال . ولمَ لا ؟ أليس هو الذى سرقه ، كما أنه ليس من الأجرام أن يأخذ الانسان من لص خطير مالاً حصل عليه بطريقة غير شرعيـة . وأحس جورج دفعة واحدة باحساس جديد ، واكتشف فى قلبه راحة خفية كانت ولاشك نتيجة شعوره بأنه غنيّ . وفكر جورج فى كل تفاصيل حياته المستقبلة . سوف لا يرجع مطلقاً الى منزله . كذلك من البديهى ألا يبقى أيضاً فى تلك البلدة الصغيرة ، فسينتاب أهلها العجب والرعب حين يرون التغييرات الكبيرة فى عاداته ومعيشته . على أن جورج لم يكن يعرف فى الواقع ما سوف يفعله بكل تلك الثروة الهائلة ، فهذا شىء جديد لم يتعلمه من قبل ولم يهيىء نفسه له . وهو الآن يريد أن يستعد لتلك الحياة الجديدة ويتخذها أهبتها بعد أن اختاره الحظ الزاهر ليتمتع بثروة ذلك اللص الخطير الذى ولد ليكون طول حياته سيء الحظ منكود الطالع

وعند ما بلغ جورج المحطة ليستقل القطار فكر فى ذلك المحْسِن المجهول دون أن تبدو عليه عاطفة الاعتراف بالجميل . بل كان يغمره سرور من يلتذ بايلام الغير

* * *

وبعد أشهر كان جورج يسكن قصراً على ساحل الريفييرا ، وكان يرتدى أنخر الملابس وآنقها ، وقد أصبح الجاه عنده أمراً طبيعياً جداً . على أنه فى داخل نفسه كان يشعر بالضيق . وكان كلما فكر فى أمره وجد نفسه ليس أكثر سعادة من ذى قبل

وفى ذلك اليوم عندما أوشكت عينه أن تغمض سمع وقع أقدام وضجة فى ردهة القصر . ما الذى يحدث ؟ لبس جورج بيجامته الحريرية وخرج من الغرفة . لم يحدث شىء غير عادى ، فقد قُبض على أحد لصوص الفنادق فى اللحظة التى كان يفتح فيها باب غرفة نوم جورج . ورأى جورج وجه الرجل الذى كان رجال البوليس السرى والخدم يمسكونه بقسوة ويسوقونه أمامهم . وبدا لجورج أنه رأى ذلك الوجه . ولكن أين ؟ وسرعان ما تذكر وقد ملأه الوجل : أنه الشخص الذى كان يحتل المقعد المقابل له فى القطار يوم وقع حادث الحقيبة الشهير

وابتسم جورج ابتسامة صفراء وألقى بنفسه ثانية على سريره ، على أن نومه طول تلك الليلة كان قلقاً مضطرباً .

على كامل

بعض الكتب الجديدة

(**الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى**) للأستاذ محمد هاشم عطية

(**شهريات التونسيات**) للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

(**أيام بغداد**) للأستاذ أمين سعيد

ألف الكتاب الأول الأستاذ محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم ، لينتفع به طلاب هذه المدرسة وطلاب كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية ، وقد جعله قسمين يقعان معاً فى نحو أربعمائة صفحة كبيرة . فى القسم الأول تكلم الأستاذ أولاً عن معني كلمة الأدب ومنشئها ، ثم حدد العصر الجاهلى وانتقل الى أقوال العلماء فى الأدب الجاهلى ، فأورد طرفا منها فى معرض التدليل على صلاحية هذا الأدب ليكون مرآة للحياة الجاهليـة ، ثم تكلم عن تاريخ الأدب والمراد منه وفائدته وعلاقته بالتاريخ العام ، ودرس جزيرة العرب وأصل العرب وطبقاتهم ، ونشأة اللغة عامة والعربية خاصة وخصائص اللغة العربية ، ومعارف العرب فى الجاهلية ، والنثر الجاهلى والشعر الجاهلى وخواصهما ؛ ثم درس المعلقات درساً مفصلاً . وأما القسم الثانى من الكتاب فقد جعله للتراجم بعد أن مهد له بفصل ممتع فى النقد الأدبى وتاريخه وأصوله ، وترجم فيه لأمرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ولبيد وطرفة وعبيد ابن الأبرص وأوس بن حجر وأمية بن أبى الصلت

فالكتاب كما ترى من وصفه حسن الترتيب حافل بالمعلومات التى لا بد منها لطالب الأدب ، وهو فى شكله المدرسى هذا كفيل بأن يفيد جمهور المثقفين من غير الطلاب ؛ بيد أن هذا الشكل أو هذا الوضع المراعى فيه منهاج الدراسة قد حال بين الأستاذ على رغم ما يبدو من متانته وضلاعته وسعة اطلاعه ، وبين ما كان يتطلبه الكثير من الموضوعات من البسط والاستيعاب ، ومن أمثلة تلك الموضوعات مسألة الانتحال والرواية والحياة الاجتماعية للعرب ، وهما موضوعان أساسيان فى مثل هذا الكتاب ، وكثيراً ما يحول التقيد بالبرنامج بين المؤلف وبين ما يريد ، فيجعل بحثه خاصاً أكثر منه عاماً ، ويكون الى إيراد المعلومات المتنوعة أقرب منه الى

التحليل والاستقصاء والاستدلال ، ولا سيما فى المسائل العامة التى يبنى عليها فهم الأدب فهماً صحيحاً ، وهذا واضح فى القسم الأول من الكتاب ، أما فى القسم الثانى حيث سمح المنهاج للأستاذ بالتحليل والدرس الدقيق ، فقد تجلت براعته وأصالته وحسن ذوقه .

فاذا نحن نقدنا الكتاب فى شكله الحالى ككتاب مدرسى لا يسعنا إلا أن نضعه فى عداد الكتب المدرسية الممتازة ، كما لا يفوتنا أن نرجو الأستاذ الفاضل أن يستغل علمه ومقدرته فى بسط ما أجمل فى رسالة أخرى تنفع المتأدبين عامة

* * *

أنتقل بالقارئ بعد ذلك الى هذا البحث الطريف ، الذى اضطلع به الأستاذ العالم التونسى الفاضل حسن حسنى عبد الوهاب ، وهو بحث تاريخى أدبى فى حياة النساء النوابغ بالقطر التونسى من الفتح الاسلامى الى الزمان الحاضر

ذكر الأستاذ فى مقدمة كتابه أن ما دعاه الى وضعه ما جرى من حديث بينه وبين صديق له حول الكتاب المسمى (الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور) وقد أشار عليه صديقه أن يضع كتاباً فى شهيرات التونسيات ، فهزته إلى هذا العمل عاطفة قوية كان ثمرتها هذا الكتاب الذى أحدثك عنه . وقد تكلم فيه الأستاذ عن نابغات النساء فى تونس فى الدور العربى ، والدور الأغلبى ، والدور العبيدى ، والدور الصنهاجى ، والدور الحفصى ، والدور التركى ، والدور الحسينى ، وترجم فى هذه الأدوار جميعاً لعدد من كرائم السيدات ، مبيناً مآثرهن وأدبهن فى حديث طلى وعبارة قوية . ولن تقف أهمية هذا الكتاب عند الترجمة لهؤلاء الأوانس ، بل إنك لتجد المؤلف الفاضل يربط الموضوع بالتاريخ فى مهارة وكياسة ، فتجد فى كل دور من هذه الأدوار التى مر ذكرها ظلا للعصر الذى يقع فيه ، وتطالع ألواناً مختلفة من ألوان الحياة الأجتماعية ، ومألوف العادات والتقاليد ، هذا فضلا عما كان يبثه المؤلف فى ثنايا الكتاب من الحكمة والأدب والموعظة الحسنة ، والطرف الأدبية ، مما هو جدير بمن كان له مثل أريحيته وأدبه ، وإنى إذ أقدم هذا المؤلف الطريف لجمهور القراء فى العالم العربى آمل أن يحذو حذوه المؤلفون فى الشرق ، فما أحوجنا فى نهضتنا الحديثة الى المثل العليا فى عالم المرأة ، وما أجدرنا أن ندفع عنا تلك الأتهامات القاسية التى توجه الى المرأة الشرقية فى غير تحرج ولا استحياء ، وفى كثير من الجهل والأدعاء

* * *

أما أيام بغداد فهو كما يعرفه الأستاذ المؤلف أمين سعيد ، وصف شامل لنهضة العراق الحديثة ولمعالمه التاريخية ، والقارئ يذكر أن الرسالة قد قدمت إلى قارئيها منذ وقت قريب كتاباً كبيراً للأستاذ المؤلف هو « الثورة العربية الكبرى » . ومن هذين الكتابين تدرك مقدار اهتمام الأستاذ أمين بالشرق العربى ومدى حماسته له . أما هذا الكتاب فيقع فى نحو مائتين وخمسين صفحة ، جيد الطبع متين الورق ، وهو كسائر كتب الرحلات يجمع بين اللذة والفائدة . ولا سيما أن موضوعه العراق ، ذلك القطر الفذ فى تاريخه

افتتحه المؤلف الفاضل بفصل فى النقد فى بلاد العرب ، ثم بآخر فى سكة حديد فلسطين والاستعمار الصهيونى ، وبعد ذلك تبتدئ رحلته فى فصل عنوانه إلى بغداد ، فينتزعك من وسطك ويسير بك إلى تلك البلاد ، فاذا أنت معه على ضريح المغفور له الملك فيصل ، ثم إذا بك كأنك ترى حفلة التأبين الكبرى ، فوصف الأستاذ دقيق ، والموضوع ذاته يستهويك ويحيطك بجو خيالى ملئ بالصور . ولقد حافظ الأستاذ على هذه الدقة فى وصف جميع الأماكن التى زارها والحفلات التى حضرها ، ثم إنه لم يقتصر على الوصف وعلى إيراد ما رأى ، بل تراه يحدثك عن بعض المسائل الهامة فى العراق كالعمران فى بغداد والمدرسة العسكرية فى الكرادة ونهضة التعليم فى تلك الديار ؛ وما هو أهم من ذلك كمدى نفوذ الانجليز هناك ومعسكراتهم ومطاراتهم ، وأخيراً تراه يحدثك عن الأشوريين وأحوالهم حديث من رآهم وخبرهم بنفسه

وأنا وإن لم أر العراق أحس أننى قد استفدت من هذا الوصف ، ووقفت به على كثير من المسائل التى كنت أجهلها والتى كانت تشغل ذهنى ، كما أنى استمتعت به كما لو كنت أرى هاتيك الصور على الشاشة البيضاء ، أما من حيث مطابقة ما ذكر الأستاذ للواقع ومقدار إحاطته بضروب الأصلاح والتعمير فى العراق ، فالأمر فى ذلك متروك للقارئ العراقى ولمن زار العراق من أبناء مصر وأهل الأقطار العربية

الخفيف